الدكتور أبو القاسم سعد الله

محمد الشاذلي القسنطيني

1877 - 1807

دراسة من خلال رسائله وشعره

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

١٣٩٤ هجرية ١٩٧٤ ميلادي .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

خلال صيف 1970 كنت أتصفح نسخة مخطوطة من كتاب (تحفة الزائر) فعثرت فيــه على قصيدة في ورقة مطوية منفصلة تبدأ بهذه العبارة : « ومما كتبه العالم الفاضل الشيخ محمد الشاذلي على لسان بلدتهم قسنطينة » .

وقد استوقفتني هذه القصيدة لأني لم أكن أعرف العلاقة بين الرجلين الأمير عبد القادر والشاذلي قبل لقاء امبواز ، لذلك نسختها وأعــدت الورقة إلى المخطوطة وعزمت على نشر القصيدة لما فيها من معلومات تاريخية : صلة الأمــير بأهالي قسنطينة ، وعلاقة الرجلين قبــل امبواز ، وموقف الشاذلي من المقاومة الوطنية .

غير أن البحث عن ظروف القصيدة قادني إلى البحث عن صاحبها ، وهكذا تحول اهتمامي من الأمير عبـد القادر[1] موضوع القصيدة ، إلى الشاذلي القسنطيني ، قائلها ، وشرعت في التقاط كل خبر أجده عنه ، وكانت الأخبار يقود بعضها إلى بعض ، فالحـديث عن الشاذلي قاد إلى صديقه بواسوني ، والحديث عن هــذا أدى إلى اكتشاف مجموعـة من (الرسائل) كتبها الشاذلي أو كتبت عنه ، وقـد وجدت نفسي أمام شخصية لم نكن نعرف عنها إلا القليل ، فمعلوماتنا السابقة عن الشاذلي كانت لا تتجاوز ما أورده عنه صاحب (تحفة الزائر) من مساجلات تبادلها مع الأمير ، أشار إليها سان كالبر ورددها هنري بيريس وغيرهما ، أما الرسائل ففيها خفايا عن العلاقة بين بواسوني والشاذلي .

ومن جهة أخرى قادني البحث إلى العودة الى الجرائد المعــاصرة . كـ (الأخبار) و (المبشر) وقد وجدت فيها معلومات إضافية تكشف عن بعض الجوانب التي تجيب عنها (الرسائل) المذكورة ، كما ساءلت عن الشاذلي في قسنطينة ، وحصلت من ذلك على (تقييدات) ابنه محمود التي ألقت أضواء جديدة على الموضوع ، وأخيراً اطلعت على نسخة من كتيب صغير يدعى (هدية الاخوان) أو تقويم العنتري الذي أورد فيه ست قصائد للشاذلي .

وقد صنفت المادة التي عثرت عليها فوجدتها غزيرة وان كانت غـير كاملة ، وقلت لنفسي لمـاذا لا أقوم اذن بدراسة عن الشاذلي القسنطيني

(1) كنت عندئذ اجمع المادة لكتابة المدخل للترجمة التي قمت بها لكتاب تشرشل المسمى (حياة عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر) ، وهو الان تحت الطبع .

تكشف لا عن صلته بالأمير فقط ولكن أيضاً عن ثقافة عصره ، وصلة أمثاله برؤساء المكاتب العربية من الفرنسيين ، وتغلغل الاستعمار في الحياة الجزائرية ولكن أسئلة ظلت ملحّة عليّ : هـل الشاذلي يستحق كل هـذا الجهد ؟ ألم يكن موظفاً عنــد الفرنسيين ؟ ألم يكن مـدّاحاً لرجالهم ومعجباً بحضارتهم ؟ أليس في الجزائر من هو أجــدر منه بالدراسة ؟

والواقع انني أجبت على هـذه الأسئلة في خاتمة البحث ، غير اني أضيف هنا بأن الشخص الجـدير بالدراسة عندي هو « الانسان صاحب الموقف » سواء اتفقنا معـه في موقفه أو اختلفنا ، أما الانسان الذي عاش بدون حقيقة فهو الذي يستحق الالغاء بل هو الذي أعـدم نفسه بنفسه ، والظاهر ان الشاذلي قـد عاش عصره واتخـذ فيه مواقف واضحة ، وعلى الباحث أن يدرس الشخص وعصره ومواقفه ، ويترك بعد ذلك لكتاب السياسة والأخلاق يقيمونه ويحكمون عليه .

وأود أن أنبه إلى أني عند ما كتبت هذه الدراسة لم أكن قـد اطلعت على تقويم العنتري (هدية الاخوان) ، وقد رأيت وضع القصائد الست في (ملاحق) حتى يعود إليها المهتمون لأن (هـدية الاخوان) كان قـد طبع طبعة حجرية سنة 1846 ولم يعـد في متناول الناس ، كما عثرت على قصيدة طويلة لأميّة أوردها سان كالبر وشك في نسبتها إلى الشاذلي وقال : إن بعضهم ينسبها إلى العنتري نفسه ، وعندما قرأتها وجدتها لا تتسق مع نماذج الشاذلي الشعرية ، لذلك ضربت عنها صفحاً .

وأورد له نفس الكاتب (سان كالبر) أربعة أبيات ركيكة مكسورة ينهي فيها عن الرحيل من قسنطينة ، فاهملتها أيضاً لأني غير مطمئن إلى نسبتها إلى الشاذلي ، ورغم أن بعض القصائد قد تثير الاعتراض لأن أغراضها لا تنسجم مع واقعنا اليوم ، فاني فضلت اضافتها خشية الضياع ولأنها في الحقيقة أصبحت جزءاً من التراث الشعبي ، ومن جهة أخرى نعرف أن الشاذلي كان (محل استغلال) السلطة الحاكمة عندئذ في قسنطينة ، ولذلك لا نستبعد أن يكون قد نسب إليه ما لم يقله أو نقل عنه مشوهاً لأغراض خاصة .

وسيلاحظ المهتمون جوانب النقص في هذه الدراسة ، فهي أولاً تركز على الشاذلي في فترة قصيرة من حياته ، أي حتى سنة 1850 م تقريباً ، ولذلك ظل جزء كبير من حياته بدون دراسة ، وهي ثانياً لم تدرس جوانب محددة من نشاط الشاذلي مثل حياته في القضاء التي دامت عشرين سنة وحياته في إدارة المدرسة التي دامت حوالي 27 سنة ، وهي أخيراً لم تستطع أن تنفذ إلى تأثير الشاذلي على معاصريه والجيل الذي جاء بعده ولا سيما عائلات قسنطينة كاسرة ابن الموهوب ، وأسرة ابن باديس ، وأسرة الونيسي وغيرها ، أو إلى أثره في بعض العلماء الضيوف على قسنطينة أمثال عبد القادر المجاوي ، ويعود هذا النقص إلى فقدان المصادر في الظرف الحالي .

ولا بد هنا من الاشادة بجهود جميع الذين ساعدوا على انجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر السيدة شوفا لبي التي تفضلت باعارتي الرسائل

المتبادلة بين الشاذلي وبواسوني ، والسيد هنري تيسي الذي بواسطته حصلت على الرسائل المذكورة ، والشيخ رشيد الازهاري أبا حامد الذي أعطاني كراساً فيه تقييدات لحمود بن الشاذلي القسنطيني ، كما أشكر الشيخ نعيم النعيمي الذي قرأت عليه قصيدة الشاذلي في الأمير وصحح لي بعض الخلل العروضي فيها ، واني أتمنى أن يحتذى حذو هؤلاء كل الذين يغارون على تراث الجزائر العربي ويهمهم درسه ونشره .

أ . سعد الله

مدينة الجزائر 26 أبريل 1972 .

***

ملاحظات على المصادر

تقوم هذه الدراسة على أربعة مصادر أساسية :

(1) مجموعة من الرسائل والوثائق بالعربية والفرنسية نصنّفها على النحو التالي :

(أ) رسائل كتبها الشيخ «محمد الشاذلي القسنطيني» بالعربية وأرسل بها إلى الضابط الفرنسي « بواسوني Boissonnet » .

(ب) رسائل ووثائق بالفرنسية تعرضت إلى الشيخ الشاذلي من قريب أو من بعيد كتبها عسكريون ومدنيون معاصرون للشاذلي ، وقد عثرنا على هذه المجموعة (عربية وفرنسية) عند السيدة «شوفاليي» وحصلنا عليها بواسطة السيد « هنري تيسي » .

(2) قصيدة سياسية في سبعة عشر بيتاً نظمها الشاذلي القسنطيني في مدح الأمير «عبد القادر» والاستغاثة به لنصرة أهالي قسنطينة مما حل

بهم بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة ، والغالب أن تاريخ القصيدة يقع بين 1837م وهي سنة توقيع معاهدة التافنة واحتلال قسنطينة و 1839م وهي سنة استئناف الحرب بين الفرنسيين والأمير عبد القادر ، وقد وجدنا هذه القصيدة في ورقة مطوية منفصلة موضوعة مع وثائق أخرى ، ضمن نسخة مخطوطة لكتاب « تحفة الزائر » تاليف الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر . وهي قصيدة لم تظهر في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب سواء طبعة 1903م أو طبعة 1964م .

(3) مجموعة من « التقييدات » كان محمود بن محمد الشاذلي القسنطيني قد سجلها وهي تتعلق بتاريخ مدرسة قسنطينة ونظارة والده عليها بالاضافة إلى معلومات أخرى عن الاساتذة الذين تولوا التدريس فيها ، والمعروف أن محمود قد تولى نظارة المدرسة المذكورة بعد وفاة والده ، وقد حصلت على هذه التقييدات بواسطة الشيخ الازهاري بالمعهد الاسلامي بقسنطينة وهي ضمن كراس بخط السيد محمد المهدي.

(4) مقال كثير الفائدة ظهر في جريدة « الاخبار » الجزائرية بعنوان « سي الشاذلي » تعرض فيه كاتبه إلى أشياء كنا نجهلها عن الشاذلي كرحلاته إلى أوربا وحالته الصحية واهتماماته الشخصية وآرائه في الحضارة الاوربية[1] .

(1) يمكن أن نضيف إلى هذه المصادر ما وجدناه من رسائل في المكتبة الوطنية ، تحت رقم 2274 مسجلة تارة باسم الأمير عبد القادر وأخرى باسم الضابط بواسوني ، وفي هذه =

فاذا أضيفت هذه المصادر إلى الكتابات الاخرى المطبوعة عن الشاذلي القسنطيني أمكننا أن نخرج بدراسة شاملة لعصره وحياته وعلاقاته ولكن يجب أن ننبه إلى أن هذا لا يعني أن البحث عن مصادر أخرى لم يعد له فائدة أو لن يضيف جديداً إلى معلوماتنا ، بل يجب أن يتواصل البحث وبكل عناية عن رسائل الشاذلي الاخرى ومراسلات الآخرين معه ، وعن أشعاره المتناثرة ، وعن آراء معاصريه فيه سواء في الصحافة أو التقارير أو نحوها من الوثائق ، عندئذ فقط تكتمل الصورة حول هذه الشخصية الغامضة التي كانت تثير كثيراً من الحديث أثناء حياتها ، غير أن آثارها وقيمتها ما تزال مجهولة .

= الرسائل عثرنا على رسالة موجهة من الأمير في بروسة إلى السيد ف . هاليفي ، بتاريخ 9 فبراير 1853م ، وفيها يطلب الأمير إرسال الشاذلي اليه ، كذلك وجدنا في جريدة (المبشر) بالعربية (27 أكتوبر 1877) ، بضعة سطور تؤبن فيها الشاذلي وتذكر حياته باختصار ، بعنوان « مرثية » . وفيها فائدة لانجدها في غيرها .

الشاذلي وعصره

كانت الزيبان ، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر مسرحاً لظلم الطبيعة وظلم الحكام . فقد كثرت فيها الفتن واجتاحتها الأوبئة وسادها الخراب ، وتشهد الوثائق المعاصرة أن بسكرة عاصمة الزيبان قد استبدلت عزاً بهوان ونضارة ببؤس[1] ، فهرب أهلها إلى حيث يجدون العيش بأقل مشقة ، وكانت قبيلة البوازيد تقطن حول طولقة وتشارك هي الأخرى فيما كان يجري في الزيبان من أحداث ، ولكن أسرة من هذه القبيلة لم ترض بذلك العيش المنغص بالإحن والفوضى فاتجهت نحو قسنطينة ونواحيها ، وكان ذلك في ظل حكم البايات لقسنطينة ، ونحن لاندري بالضبط متى هاجرت هذه الأسرة إلى

(1) الحسين الورتلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، تحقيق ونشر محمد ابن أبي شنب ، الجزائر ، 1908 م ، ص 110 - 111 .

قسنطينة ولا أين إستوطنت ، ولكننا نعلم أنه في سنة1222 هـ 1807م[1] ولد لهذه الأسرة التي أصابت حظاً من الراحة والعلم والثراء طفل اسمته محمداً ، وسرعان ما أصبح الناس يعرفونه باسم محمد بن الحاج محمد بن إبراهيم بن أحمد الصولي ، ثم اختصروا ذلك فدعوه محمد الشاذلي القسنطيني ، وتوفرت لدى الطفل وسائل العيش فكرّس وقته للدراسة والتحصيل على الطريقة التقليدية التي شب عليها لداته ومعاصروه .

وكانت قسنطينة ، أثناء تكوين الشاب محمد الشاذلي ، تشهد حركة علمية طيبة على رأسها نفر من شيوخ العلم التقليديين الذين تلقى هو على بعضهم معارفه الأدبية والفنية . وكانت مساجدها وزواياها

(1) يرى هنري بيريس أن الشاذلي ولد في قسنطينة أنظر مقاله

« La Vie d'Etudes et de Mé — ditation d'Abdelkader au Chateau d' Amboise » , Deuxieme Congres National des Sciences Historiques, Alger, 1930 (Alger 1932), pp. 333 — 343

أما السيد شارل سان كالبر فقد قال: إنه ولد في نواحي فج مزالة ، قرب قسنطينة وأنه جا إلى قسنطينة شاباً . أنظر مقاله

« Constantine et Quelques Auteurs Arabes Constantinois '' , Revue Africaine (1913), pp. 70 — 95.

غير أن جريدة (المبشر) بالعربية قد ذكرت أنه ولد في قسنطينة سنة 1805 (عدد 27 أكتوبر ، 1877) . وأضافت هذه الجريدة أن أسرة الشاذلي قد هاجرت من طولقة إلى قسنطينة أثناء حكم الباي أحمد القلي دون ذكر السنة التي هاجرت فيها . والمعروف أن هذا الباي قد حكم من سنة 1170 - 1185هـ - 1756 - 1771م .

وبيوتها الكبيرة تعج بالمكتبات التي تحتوي على كتب المشارقة والاندلسيين بالإضافة إلى التآليف المحلية، وناهيك ببلد شهد عصر صالح باي (1771 م – 1792 م) الذي وفر الإستقرار وشجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأحباس لفائدة الطلبة وازدهار العلوم، وإلى جانب ذلك كان في قسنطينة بعض العائلات الكبيرة العريقة التي إشتهرت بالعلم والمكانة الإجتماعية كعائلة ابن الفكون وعائلة ابن باديس، وقد تداول على ولاية قسنطينة، أثناء تكوين الشاب محمد الشاذلي، عدد من البايات الأتراك والكراغلة منهم أحمد القلي، وصالح باي، أحمد طبال، ومحمد نعمان، وجعفر باي، وقارة مصطفى، وأحمد المملوك، ومحمد الميلي، وإبراهيم باي، ومنماني باي، ثم الحاج أحمد الذي إحتلت قسنطينة في عهده، وكان إقليم قسنطينة عامة يمتاز بالسعة والثراء وكثرة عدد السكان، كما كان على صلة بالأجانب الذين كانوا يتمتعون بامتياز صيد المرجان على سواحله. ولم يخل هذا الإقليم أيضاً من إضطرابات وثورات محلية وأزمات إقتصادية[1].

وفي سنة 1837 تمكن الفرنسيون من إحتلال قسنطينة، وقد قاوم أهلها مقاومة عنيدة لم تشهدها لا مدينة الجزائر ولا مدينة وهران، وضربها العدو ضربات قاصمة حتى أوشكت على الدمار من قصف

(1) أنظر محمد الصالح العنتري، « رسالة عن القحط » ماتزال مخطوطة، وقد فرغ من تأليفها بتاريخ 1870. وكذلك تاريخ بايات قسنطينة لنفس المؤلف، قسنطينة، 1846.

المدافع، وجرى فيها القتال بعد ذلك من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت. لذلك لا نستغرب أن يكون بعض الناس قد جلوا عن المدينة عندما تاكدوا من سقوطها في يد العدو، ومن هؤلاء محمد الشاذلي الذي تحدثت الوثائق عن التجائه خلال هذه الأثناء إلى أملاك أسرته التي كانت في نواحي فج مزالة أو سطيف[1]، وسنرى أننا نرجح أن يكون عندئذ قد تعلق بالأمير عبد القادر الذي كانت سمعته تملأ الآفاق، وانه قد نظم قصيدته فيه خلال هذه الفترة أيضاً، وهي القصيدة التي دعا فيها الأمير على لسان أهل قسنطينة، للنجدة وانقاذ المدينة من براثن العدو.

ومهما كان الأمر فان محمد الشاذلي، الذي كان من بيت علم، قد تلقى علومه في قسنطينة على مشاهير علمائها عندئذ، فقرأ الفقه والحديث واللغة والأدب والخطابة والحساب، وهذه هي الفنون الرائجة في ذلك العصر لا في قسنطينة فحسب ولكن في جميع القطر الجزائري، وقد حضر مجالس الشيخ محمد بن سالم والشيخ أحمد العباسي الذي كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة والذي تولى القضاء المالكي والخطابة

(1) نرى جريدة (المبشر) أن الشاذلي قد جلا عن قسنطينة سنة 1836 أي أثناء حملة الفرنسيين الأولى ضدها، وأنه قد إستقر في مدينة (جيلة) ولم يعد إلى قسنطينة إلا بعد إستقرار الأحوال بها. ونرجح أن يكون ذلك قد وقع بعد 1840. أنظر (المبشر) ، 27 أكتوبر 1877.

في مسجد رحبة الصوف[1] ، وأخـذ عنه الشاذلي الحديث والقراءات والأدب واللغة وتأثر بـه ، وسيصبح الشاذلي نفسه قاضياً مالكياً في المدينة بعد أقل من عشر سنوات ، وقرأ كذلك على الشيخ ابن طبال الفقه والأصول ، كما أخـذ على الشيخ مصطفى باش تارزي ، رأس الطريقة الرحمانية عندئذ ، علوماً شتى ، ورغم العلاقات الوطيدة التي كانت بين اقليم قسنطينة وتونس في النواحي التجارية والعلمية ، فاننا لا نستطيع أن نؤكد الآن ما إذا كان محمد الشاذلي قـد ذهب أيضاً إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة ، ولكن الذي لا شك فيه هو أن الشيخ الشاذلي قـد تمكن من معارف عصره وكون لنفسه ذوقاً أدبياً رهيفاً ، ورصيداً لغوياً قوياً ، وزاداًفقهيـاً كبيراً ، وسندرس معارفه عندما نتعرض لانتاجه .

(1) توفي الشيخ العباسي سنة 1835 ، وكان مشاركا ، إلى جانب عمله الديني والعلمي ، في الحياة السياسية ، وكان من بين من وقعوا عريضة مبايعة الحاج أحمد من جديد سنة 1830 على شروط ، ومن الذين وقعوا عليها أيضاً الشيخ ابن الفكون ، أنظر ذلك في «علاج السفينة في بحر قسنطينة » لأحمد الأنبيري (مخطوط) ، وانظر دراستنا لهذا الكتاب في مجلة كلية الاداب ، العدد 2 (1970) ص 26 – 39 . وتضيف جريدة (المبشر) أن الشاذلي قـد بدأ التعلم وهو ابن خمس سنوات ، وحفظ القرآن وهو في الثالثة عشر ، ثم إستكمل معارفه في المدارس والزوايا الموجودة أنذاك ، وقد شرع في التدريس وهو في الثلاثين من عمره ، فإذا صحت هذه الرواية فإن الشاذلي يكون قد بدأ التدريس قبل دخول الفرنسيين مدينة قسنطنية ، أنظر (المبشر) 27 أكتوبر 1877 .

وعاد الشاذلي إلى قسنطينة بعد أن تاكد من استقرار الفرنسيين بها ، وبدأت مشاغل العيش والمطامح الشخصية تحدد هدفه وترسم له الطريق ، فهو لم يكن قريباً من الأمير لينضم إلى قواته ، ولم يـكن مرابطاً محاربا مثل الحاج سيدي السعدي أو الاغا محي الدين بن المبارك فيعلن الحرب على العدو ثم يقود ما عنده من قوات إلى جهة الأمير[1] كان الشاذلي فقيها أديباً لا سياسياً ولا مرابطا ، أي أنه كان بدون قوة ولا إتباع ، فعاد إلى قسنطينة طلبا للعيش والاستقرار ولعله كان قد تزوج وأصبح أبا لعدة أولاد ،[2] وكانت الوظائف الممكنة له ولأمثاله لا تخرج عن الأمامة أو التدريس أو القضاء وكلها قد أصبحت تحت تصرف الفرنسيين ، وبالذات أصبحت من شان (المـكتب العربي) الذي تاسس في هـــذه المدينة وأعطيت له صلاحيات النظر في جميع الشؤون الأهلية ، لذلك لانستغرب أن نجد الشاذلي قد بدأ يبحث عن عمل في النطاق المذكور منذ 1843 .

(1) عن الحاج سيدي السعدي ومحي الدين بن المبارك أنظر أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الحديث بداية الإحتلال ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1970 الفصل المعنون « مرابطون وثوار » ص 81 – 92 .

(2) تثبت الدراسات أنه كان للشاذلي ولدان : محمود الذي أصبح قاضيا في سطيف أثناء حياة والده ، ثم أصبح مديراً للمدرسة الكتانية بعد وفاة والده ، وكذلك أستاذا للفقه فيها بعد وفاة الشيخ محمد المكي البوطالبي ، وقد توفي محمود الشاذلي بقسطنية سنة 1905 ، أما إبنه الثاني فهو محمد الشاذلي والذي شغل منصب أمام ملحق بثانوية (ليسي) قسنطينة مدة طويلة ، ولاندري متى توفي ، ومحمد هو الذي ترك (التقييدات) التي إستفدنا منها في كتابة هذا البحث ، أنظر سان كالبر ، ص 78 .

ففي رسالة[1] كتبها السيد لاكجير LACGER إلى الضابط بواسوني[2] مسؤول الشؤون العربية في قسنطينة أن الشاذلي قد طلب منه وظيفا حكوميا كأستاذ لغة عربية في باريس أو أمام في جامع سطيف ، وإن الشاذلي اشترط أن يدفع له أجره من خزينة المستعمرات وقد أحاله السيد لاكجير ، بناء على الرسالة ، إلى الدوق دومال ، ولد ملك فرنسا ، الذي كان عندئذ حاكما لإقليم قسنطينة[3] ، ونفهم من هذه الرسالة إن الشاذلي هو الذي طلب الوظيفة ، وأنه كان عندئذ في سطيف وأنه كان يرغب في العمل في فرنسا نفسها ، فلماذا اختار فرنسا ؟ ومن الذي رغبه فيها وأطلعه على أحوالها حتى اختارها ؟ الواقع أننا لا نملك مفتاحا للأجابة على ذلك ، ولكن الذي لاشك فيه هو إن الشاذلي سعى جهده للحصول على الوظيف حتى نال مرغوبه ، ولم يحصل على وظيفة أستاذ لغة عربية في باريس أو أمام جامع في سطيف كما طلب ، ولكن على وظيفة قاضي مالكي في قسنطينة ، ولاشك أيضا أن الضابط بواسوني هو الذي ساعده على هذه الوظيفة لأنها تدخل في إختصاصه . وإذا كنا لا نملك الآن تاريخ تعيينه في هذه

---

(1) سطيف ، 28 ديسمبر ، 1843 من لاكجير إلى بواسوني .

(2) تمين في هذه المهمة خلال شهر أوت ، سنة 1843 واستمر فيها إلى سنة 1848 حين عينته حكومته لمرافقة الأمير عبد القادر في امبواز .

(3) تولى هذه المسؤولية في 4 ديسمبر ، 1843 واستمر فيها إلى 3 أكتوبر ، 1844 .

الوظيفة فإننا نجد آثاره كقاض تظهر منذ شهر جويلية 1844[1] حين شكا بعضهم من حكمه وطلب تدخل بواسوني في الموضوع ، وقد ظل الشاذلي في هذه الوظيفة حوالى عشرين سنة ، وكانت محكمته في قصر الحاج أحمد ، الباي السابق ، وكان مساعداه في هذه المهمة المكي بن باديس ، جد الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ومحمد بن عزوز ، وكلاهما أصبح بعد قاضيا ، وتولى الشاذلي بالاضافة إلى ذلك ، إدارة مدرسة سيدي الكتاني منذ تأسيسها سنة 1850 (وسنتعرض لظروف تعيينه فيها) براتب قدره 175 فرنكا كما تسمى بها مدرسا لمادة النحو ، وظل محافظا على إدارة هذه المدرسة إلى وفاته سنة 1877[2] .

---

(1) رسالة بتاريخ 12 جويلية ، 1844 ، مكانها سكيكدة موجهة إلي بواسوني ، لكن اسم باعثها غير واضح .

(2) يثبت هنري بيريس أن الشاذلي قد توفي بطولقة سنة 1294هـ (1877 – 1878) وذكر أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر ، 1906 ، أنه توفي في حدود سنة 1280 دون ذكر مكان الوفاة ، أنظر ج 2 ، ص 386 . أما الأمير محمد باشا تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر ، الإسكندرية 1903 ، ج 2 ص26 فقد ذكر أن الشاذلي مات سنة 1294هـ « ودفن في تربة أسلافه » وهو يعني بذلك طولقة ، غير أن إبنه محمود قد أثبت في « تقييداته » أن والده قد توفي في 22 سبتمبر ، سنة 1877 . والتاريخ الأخير تؤكده أيضا جريدة (المبشر) ، 27 أكتوبر 1877 ، ونحن نرجحه لذلك .

رحلاته إلى أوربا

قام الشاذلي خلال 1844 _ 1849 بثلاث رحلات إلى فرنسا وأوروبا وقد حملته ثاني رحلة إلى بلجيكا وانكلترا ، وترك لنا بعض الانطباعات حول مشاهداته هناك ، ويهمنا الآن ان نتتبعه في رحلاته الثلاث مبتدئين بالأولى التي وقعت في خريف سنة 1844 ذلك أن الفرنسيين قد اعتادوا أن يرسلوا ببعض الاعيان الجزائريين إلى فرنسا لمحاولة التأثير عليهم باطلاعهم على ما في فرنسا من « عجائب » يعودون بعدها مندهشين مبشرين لدى مواطنيهم بتقدم فرنسا الحضاري ، ووجوب الاستسلام إليها ، أليست أمة مهمتها بث الحضارة بينهم وليس استعمارهم واستغلالهم ؟ هذه هي الفكرة التى كانت وراء جلب أعيان الجزائر لمشاهدة فرنسا ، وكان الجنرال كلوزيل هو الذي إفتتح هذه السياسة منذ 1830 ثم قلده فيها من جاء بعده من الحكام العامين وولاة الاقاليم ومسؤولي المكاتب العربية ، وفي باريس كان الأعيان الجزائريون يستقبلون استقبالا خاصا تصفف فيه الموائد وتلقى الخطب

وتوزع الاوسمة والهــدايا ، وتنظم الزيارات لأماكن وشخصيات مختــارة .

وعلى هذا النحو دعا الدوق دومال ، الذي كان حاكما لإقليم قسنطينة ، بعض أعيان الإقليم لزيارة فرنسا ، فسافر إلى هناك ثمانية ، منهم الشاذلي ، ونحن لا نملك تاريخ هذه الرحلة بالضبط ولـكن الذي نعرفه إن الشاذلي كان في باريس خلال شهر ديسمبر سنة 1844 ، وأنه كان يصر على الحصول على وسام قبل عودته إلى قسنطينة لأن عودته إليها بدون وسام تعتبر إهانة بالغة له ، ويبدو ان الشاذلي كان قــد أحس أن الأوسمة والمـكافآت كانت مخصصة لزملائه القواد والاغوات وأصحاب المـكانة العسكرية ، فرأى أن يلفت النظر إلى نفسه وأن يجعل هذه الأوسمة تعلق حتى على صدور العلماء والقضاة والائمة ، ففي رسالة(1) بعث بها أحدهم إلى الضابط بواسوني في قسنطينة ان الشاذلي قد أصبح طموحا وأنه كان يتحدث إلى صاحب الرســالة (وهو فرنسي) بلهجة المتحدي وأنه كان مصراً على الحصول على وسام الشرف لأن إهانة كبرى ستلحق به في عين مواطنيه إذا عاد بدونه ، وتفيدنا هذه الرسالة أيضاً أن الشاذلي كان يتردد على مسرح المنوعات في باريس وان هذا النوع من الفن لم يثر إعجابه .

---

(1) رسالة من باريس بتاريخ 20 ديسمبر، 1844 إلى بواسوني في قسنطينة ، واسم صاحب الرسالة غير واضح .

ومهما يكن الأمر فان ملك الفرنسيين ، لويس فيليب ، قــد استقبل الشاذلي وزملاءه السبعة ووزع عليهم الاوسمة واعطى كلا منهم « عطية تليق به » كما يقول أحد المعاصرين ، وكان الدوق دومال ، قد استقبلهم هناك أيضاً لأن مدته كحاكم للإقليم قد انتهت في إكتوبر سنة 1844 ، وهؤلاء الأعيان ، بالاضافة إلى الشاذلي ، هم علي بن با أحمد والأخضر بن واني ، والبروبي ، وبو الاخراص ولد أخي شيخ العرب وأحمد ولد مقران ، وأحمد ولد أحمد بن محمد خليفة مجانة ، والعالم الحاج ابن الخروبي ، وقــد جاء في كتاب « علاج السفينة في بحر قسنطينة » للسيد أحمد الانبيرى أنهم ذهبوا إلى باريس « بقصد الفرجة والتنزيه » وأنهم إقاموا بها » أياماً في عز واكرام وتفرجوا في باريس وما فيها من العجائب ... ولما قابلوا سلطانها (لويس فيليب) تلقاهم بالفرح والسرور وخاطبهم بكلام بليغ مع الرفق واللين ... » ولعل هذا الوفد أن يكون أول وفد من شرق البلاد يتجه إلى فرنسا .

وكان لويس فيليب يدرك دور هؤلاء في وطنهم فخاطبهم بكلام يدغدغ عواطفهم ويستميل اهواءهم فقال « أننا لا ننساكم لانكم أنتم الذين دبرتم العافية مع أولادي في وطنكم .. ولا تظنون (كذا) أنا نمسك بلادكم بالفتن بل نملكوها (كذا) بالعافية الـكاملة ... وأنا نبذل جهدي في حفض (كذا) دينكم وشريعتكم وبقــاء مساجدكم وتعميرها وإحياء مدارسكم وعلومها حتى يحسبوننا (كذا) العرب

أحباباً لهم ... » ويهمنا من هذا الكلام ادماج الشاذلي ضمن أولئك « الذين دبرتم العافية مع أولادي » . وهو واضح في أن الشيخ الشاذلي قد قام بدور خاص وهو الدور الذي إستحق عليـــه الوسام المذكور جزاء « خدماته »[1] ولكن ما هذا الدور ؟ ذلك ما لا نملك عليه الوثائق في الوقت الحاضر ، ومهما يكن الأمر فان تعيينه في منصب القضاء ، والسماح له بالتوجه إلى باريس ، وهو قاضي ، ونيله الوسام ، كلها تبرهن على أنه لم يكن معزولا عن العـــلاقات الجزائرية الفرنسية .

ورغم أن الانبيري لم يذكر من الذي تكلم أمام لويس فيليب من أولئك الأعيان ، فان الصيغة الجماعية التي أوردها تدل على أن الشيخ الشاذلي كان ضمنهم ، فقد شكروا الملك المذكور على أفضاله ووعوده ببذل الجهد للتأثير على مواطنيهم في صالح فرنسا ، وهذا ما أورده بالحرف صاحب « علاج السفينة » « ولما سمع الجماعة المذكورين (كذا) كلام سلطان فرانسة فرحوا بذلك فرحا شديداً وشكروه شكرا جميلا وقالوا له بما قلته تكون أرضنا طيبة وسنخبر بكلامك أهل أرضنا ليفرحوا[2] » وبعد أن ظلوا في باريس « إياما » أخرى عادوا إلى بلادهم ، ولكنهم لم يكادوا يستريحون يوما واحدا حتى اسرعوا لمقابلة

(1) هنري بيريس ، ص 337 .
(2) أحمد الأنبيري « علاج السفينة في بحر قسنطينة » ، ورقة 345.

حاكم قسنطينة الجديد ، الجنرال بيدو ، وشكره ، ويبدو أن رحلة الشاذلي قد انتهت في أواخر سنة 1844 وأنها كانت رحلة « رسمية » خضع فيها لمراقبة شديدة وترتيب دقيق في المواعيد والزيارات ، وعلى كل حال فاننا لا نجده قد سجل انطباعه حول هذه الرحلة ، وفي سنة 1846 مر الدوق دومال بقسنطينة وإقيم له احتفال ، فالقى الشاذلي بهذه المناسبة قصيدة[1] سنتعرض لها ، ولكنه لم يشر فيها إلى رحلته السابقة وإكتفى بتحميل الدوق تبليغ سلامه « للجميع » عند عودته إلى فرنسا .

إذا كانت رحلة الشاذلي الاولى قصيرة رسمية ومقيدة بالزمان والمكان والهدف ، فان رحلته الثانية[2] كانت طويلة وشخصية تمتع فيها بحريته ولو إلى حين ، وأكثر خلالها من التنقلات والزيارات الخاصة ، ذلك أن الشاذلي كان يعـــاني من مرض في عينيه ، وكان يشعر أن نظره يزداد ضعفا يوماً بعد يوم ، فذهب في أوائل سنة 1847 يستنجد بالطب في فرنسا ، وقد طلب الدواء عند أطباء معروفين في

(1) هذه القصيدة مذكورة في نفس المصدر ، وكذلك في المنتري ، تاريخ بايات قسنطينة ، ص 185 - 186 .

(2) قضى الشاذلي هذه المرة بين خمسة وستة شهور في أوربا ، أنظر جريدة (الأخبار) ، الثلاثاء 21 سبتمبر 1847 .

وقتهم أمثال الدكتور باسكي Pasquier مفتش الصحة العسكرية والدكتور سيشيل Siehel والدكتور فورناري Furnari وغيرهم ،[1] وكان ينشد عندهم تخفيف آلام عينيه وحفظ نظره ، ويبدو أن الطب لم يسعفه كثيراً فقد ظل يعاني من عينيه ومن عدة أمراض أخرى ، فكثيرا ما نلتقي به مريضا سواء عندما ذهب لمؤانسة الامير عبد القادر أو أثناء إقامته في قسنطينة ، والذي يعنينا هنا هو النشاط. الذي قام به أثناء هذه الرحلة سواء في فرنسا أو في غيرها من بلاد أروبا .

كان الشاذلي الاديب كثير الرغبة في الاطلاع على كل شيء ، فالفضول كان يحمله على التعرف على مجاهل الحياة الاروبية ، وقد حمله هذا الفضول ذات مرة إلى (اكاديمية الآداب والفنون الفرنسية) ، ولم يكتف بزيارتها كما يفعل بعض السواح ، ولكنه طلب السماح له بحضور إحدى جلساتها الخاصة ، وكان مرافقه في هذه الزيارة الضابط بواسوني نفسه ، وجلس الشاذلي يستمع إلى موضوع النقاش الذي صادف أن كان « دور الحضارة المنتصرة ومحاولاتها نشر الآداب والفنون في مهد انبعاثها الاول » وهو موضوع ، إذا اختصرناه أصبح

---

(1) نفس المصدر . وكذلك رسالة لاكجير إلى بواسوني (29 جوان ، 1847) .

« الاستعمار عن طريق الحضارة ، » وكان بواسوني يجلس إلى جانب الشاذلي ويترجم له تدخلات المناقشين وعروضهم ، وقد روت الجرائد عندئذ أن الشاذلي قد أعجب بنظام المناقشة فارتجل شعراً عبر فيه عن غبطته لحضوره الجلسة وعن حسن الاستقبال الذي حظي به ، وهو الاستقبال الذي لم يحظ به أحد قبله منذ الملكة كريستين ، ملكة السويد .[1] وقد قام بواسوني بترجمة شعر الشاذلي إلى الفرنسية في الحال ،، وسجل شعره في محضر الجلسة ، ورد عليه الحاضرون بانه كان جديرا بالتقدير الذي وجده منهم[2] .

وبالاضافة إلى ذلك كان الشاذلي يتردد على المكتبات ، وبالأخص المكتبة الملكية ، فقد كان يذهب إليها لمطالعة المخطوطات العربية النادرة التي كان لا يجدها في بلاده ، وكان يجد في هذه الكتب لذته ويشبع نهمه الروحي ، ولم يفت الشاذلي أن يحضر بعض جلسات البرلمان الفرنسي أثناء مناقشة ميزانية الجزائر أو بعض المشاريع الأخرى المتعلقة بها ، ولا شك أنه سمع أثناء ذلك وجهات النظر

---

(1) حكمت بلادها بالوصاية منذ 1632 وبنفسها منذ 1644 ، وكانت بروتيستانتية ولكنها تحولت إلى الكثلكة وتنازلت عن العرش سنة 1654 وذهبت إلى رومة وفرنسا (حامية الكاثوليكية) ، والمقارنة بين محمد الشاذلي والملكة كريستين في هذا المقام تلفت النظر .

(2) عن جريدة (الأخبار) 24 جوان 1847 نقلا عن مجلة (القرصان) الباريسية .

المختلفة المؤيدة والمعارضة للاستعمار ، وقام بزيارات خاصة للمحاكم الفرنسية والمجالس القضائية وشاهد كيفية تطبيق التشريعات والقوانين في فرنسا ، وكانت هذه المشاهدات تدخل في نطاق مهنته ، ولا نستبعد أن تكون مشاهداته قد تركت بصماتها على تفكيره ، فأصبح قاضياً متحرراً وناظر مدرسة عصرياً وأديباً رقيقاً ، ولم يكن الشاذلي متزمتاً مثل قضاة عصره ، فقد تخلى حتى عن لباسه المحلي وارتدى لباس المشارقة في باريس[1] .

ولم تخل هذه الرحلة من الزيارات الرسمية والحفلات الملكية والأوسمة الشرفية أيضاً ، فقد استقبله الدوق دومال استقبالاً خاصاً في منزله الواقع بـ (شانتي) وصادف وجوده في باريس وصول ثمانية آخرين من أعيان وطنه ، وكانوا هذه المرة من الغرب الجزائري ومن الوسط ، منهم خليفة معسكر ، وباشاغا أولاد عقاد ، والطاهر أخو الخليفة محي الدين ، وقائد تلمسان حمادي الصقال ، وخليفة الاغواط

---

(1) تقول (الأخبار) أن الشاذلي قد فعل ذلك حتى لايشتبه على الناس ببومعزة الذي كان على رأس ثورة ناحية الظهرة ، وتضيف هذه الجريدة أن بومعزة سرعان ماقلد الشاذلي في لباسه الشرقي .. أنظر (الأخبار) ، 21 سبتمبر ، 1847 ، والمعروف أن الفرنسيين قد نفوا بومعزة إلى فرنسا وأنه قد غادر الجزائر متجها إلى فرنسا على ظهر الباخرة (لابرادور) في 21 إبريل ، 1847 ، وقد رافقه الضابط ريشار مسؤول المكتب العربي بالأصنام ، وهو مؤلف كتاب دراسة عن ثورة الظهرة (1845 – 1846 ، الجزائر ، 1846 .

وقضاة تلمسان ووهران ومعسكر ، وقد تناولوا العشاء على مائدة لويس فيليب ، بحضور الملكة وكذلك ملكة بلجيكا ، والأمراء والأميرات ، وتليت أيضاً الخطب ووزعت أوسمة الشرف وأوسمة الفروسية[1] ، وكان المترجم روسو Rousseau[2] ورئيس المكتب العربي بشرشال الضابط موللي Moullé بالاضافة إلى بواسوني يرافقون الوفد ويقومون باعمال الترجمة ، واتسعت الزيارات والاستقبالات فشملت أيضاً اسقف الجزائر بباريس السيد بافي Pavy فقد شرب القواد الخمسة والقضاة الأربعة القهوة الشرقية عند الاسقف وتبادلوا معه الحديث عن الكرم العربي وتقاليد الحضارتين الاسلامية والغربية[3] ، وأقامت وزارة التعليم حفلاً خاصاً في السوربون لتوزيع الجوائز على الشاذلي و « العرب المرافقين له » كما أقامت حفلاً ساهراً للشاذلي و « العرب الذين معه »[4] ، وكان

---

(1) قابل الملك الشاذلي في قصر (نويي) يوم 5 أوت 1847 على الساعة السادسة إلا ربعاً . وكان مرافقه أثناء هذه المقابلة الضابط بواسوني أيضاً ، أنظر بطاقة الدعوة الموجهة إلى بواسوني من وزارة الحربية بتاريخ 4 أوت 1847 .

(2) كان مستعرباً منتجاً ، ومن مؤلفاته ترجمة كتاب الزهرة النيرة المنسوب للشيخ محمد بن عبد الرحمن التلمساني ، ونشره له في الجزائر سنة 1841 ، وكذلك « رحلة الشيخ التجاني في تونس » التي نشرها في المجلة الآسيوية في حلقات إبتداء من سنة 1852 ، مجلد 20 . أنظر أيضاً (الأخبار) ، 24 أوت 1847 .

(3) جريدة (الأخبار) ، 22 أوت ، 1847 .

(4) أنظر بطاقة الدعوة المؤرخة في 12 أوت 1847 ، والموجهة من وزارة التعليم إلى الضابط بواسوني . وتنص البطاقة على أن الإحتفال جرى يوم الخميس على الساعة الثامنة والنصف .

بواسوني مرافقاً للشاذلي في جميع هـذه الاستقبالات والحفلات الرسمية وكانت الدعوات توجه إلى الشاذلي عن طريق بواسوني .

ويهمنا أيضاً أن نتتبع الشاذلي في زيارته لبلجيكا وانكلترا ، والواقع أننا لا نملك دليلاً قاطعاً على أنه كان يحسن الفرنسية ، وتثبت الوثائق أن أحد المترجمين كان باستمرار يرافقه ولا سيا بواسوني ، ولكننا وجدنا في (الأخبار) ما يدل على أنه كان يعرف الفرنسية ، وكان هو يوقع رسائله بالحروف اللاتينية هكذا Chadli, Cadi de Constantine (الشاذلي ، قاضي قسنطينة) رغم أن الرسائل كانت كلها بالعربية ، وها نحن نجده يزور بلجيكا وانكلترا دون ذكر مرافق أو مترجم له ، والذي نرجحه أن الشاذلي لم يكن يتقن الفرنسية ولـكنه كان يعرف منها ما يجعله يفهمها بسهولة ، ويفهم خلالها طرائق الحياة والتفكير الفرنسي ، وعلى هذا الأساس لم يجد الشاذلي صعوبة في بلجيكا ، فقد قال عنها أنها كانت مثل فرنسا تماماً ، وأن كل ما فيها فرنسي ، أما بالنسبة لانكلترا فقد كان له رأي يختلف طبعاً .

فقد لاحظ أن الشعب الانكليزي يختلف في كل شيء عن الشعب الفرنسي . فالرجال هناك كانوا رافعي الرؤوس فخورين بأنفسهم لا يتكلمون إلا نادراً ولا يردون على الأسئلة إلا بمقدار ، فقد كانوا دائماً

منهمكين في عمل مـا ، أما نساؤهم فلهن بشرة صافية ووجوه جميلة ، ولـكن مشيتهن غير رشيقة ، فهي تشبه مشية طائر اللقلق (البلارج) الذي يضع أعشاشه على سقوف قسنطينة ، وانتقد الشاذلي رائحة المرأة الانكليزية وصوتها ، فقد قال: إن رائحة خاصة تنبعث منها عند الحديث لا تشبه الروائح الشرقية ، بالاضافة إلى نبرات صوتها حادة تشبه زقزقة طائر (الزاوش) ، ونحن لا نستغرب هـذا الحكم من قاضي قسنطينة الذي لا يعرف اللغـــة الانكليزية ، فالفرنسيون أنفسهم يسخرون من الكلام الانكليزي ويشبهونه بحديث من يضع حبة بطاطا ساخنة في فمه ، وللانكليزي أيضاً نـكت لاذعة عن كيفية الـكلام الفرنسي ، ولـكن هـــذا يدخل في تنافس الشعبين والثقافتين على المستوى العالمي ، فما الذي حشر الشاذلي في هـذه المقارنات التي ما كان أغناه عنها ؟ على أن الشاذلي لم يكتف بوصف الرجال والنساء ولـكنه وصف البيوت والطابع العام للمدينة أيضاً ، فقـــد قال: إن دور بريطانيا مغطاة بالدخان ، وهي مظلمة ذات نوافذ صغيرة خلافاً لنوافذ دور باريس الزجاجية .

ولا شك أن الشاذلي لم يجـــد في لندن ما وجد في باريس من أصدقاء و تكريم و أوسمة ، و مهما يكن الامر فان الصحافة عندئذ قـد استغلت الانطباعات والمقارنات التي أبداها الشاذلي للتأثير

على الجزائريين عامة ، فالشاذلي ، حسب هذه الصحافة ، قد وجد في فرنسا وطنه الثاني ، ففيها وجد الكرم الذي ينسجم مع الحياة الشرقية ، ووجد الأصدقاء الذين يعترفون بفضله ومواهبه ، ووجد اللطف والرشاقة في مدينة باريس ، ولكنه لم يظفر بشيء من ذلك ، حسب هذه المصادر ، لدى الشعب الإنكليزي ، لذلك دعت جريدة (الأخبار) القاضي الشاذلي إلى أن لايكتفي بهذه الإنطباعات الشفوية ، وأن يكتب مقارناته ومشاهداته عن أوربا حتى يتاح لأفكاره أن تصل إلى مواطنيه وأن يعرفوا من خلالها تقدم الحضارة الأوربية لكي يعملوا على الإستفادة منها[1] .

أما الرحلة الثالثة (1849 _ 1850) فقد كان الهدف الظاهري منها مؤانسة الأمير عبد القادر أثناء سجنه في فرنسا ، وكانت قد إستغرقت فترة أطول من سابقتيها ، وحملته إلى باريس وامبواز ، وقد استغلها الشاذلي في قضاء مصالحه الشخصية ، وسنتعرض إليها بالتفصيل عند الحديث عن رسائله التي كتبها إلى بواسوني وعن علاقته بالأمير عبد القادر .

---

(1) جريدة (الأخبار) ، 21 سبتمبر 1847 .

مراسلاته مع بواسوني وبعض مواقفه

تثبت الرسائل التي حصلنا عليها أن الشاذلي كان على صلة وطيدة بالفرنسيين المتصلين بالشؤون العربية ، ولعل الشخص الذي فتح له المجال ، من بين هؤلاء ، هو الضابط بواسوني الذي تحدثنا عنه ، ويبدو أن بواسوني كان على إطلاع واسع بأحوال العرب عامة وأحوال عرب قسنطينة خاصة[1] ، فهو الذي خطط لصالح العنتري كتابه عن تاريخ بايات قسنطينة ، وأشار عليه بكتابة مذكرة عن أحوالها الإقتصادية ، كما أشار على الحاج أحمد بن المبارك بكتابة تاريخ حاضرة قسنطينة[2] ، وكان هو المسؤول المباشر على تعيين القضاة والمدرسين والائمة ، ومنهم

---

(1) هو الذي نشر بالعربية كتاب الفارسية لابن قنفذ القسنطيني ، بعنوان تاريخ الحفصيين ، باريس ، 1847 .

(2) نشره نور الدين عبد القادر سنة 1952 ، وقد ترجمه المستعرب دورنون في المجلة الأفريقيه (1913) .

المكي بن باديس ، وابن المبارك نفسه ، والشيخ البوطالبي ، بالإضافة إلى تولية الشاذلي منصب القضاء المالكي ، والواقع أن بواسوني كان يعمل على إكتساب طبقة الأعيان والمثقفين الوطنيين الذين كانوا منبوذين في العهد العثماني ، وقد حاول أن يجعل من بعضهم أنصاراً للوجود الفرنسي وأدوات لتهدئة نفوس الأهالي وكسب ودهم لفرنسا، وفي هذا الإطار كان هو المسؤول أيضاً على تنظيم وفد أعيان قسنطينة إلى باريس (1844) ، وقد وجدناه في رفقة الشاذلي أثناء رحلته الثانية لفرنسا (1847) في كل الإستقبالات والحفلات الرسمية والشعبية ، بالإضافة إلى ملازمته للامـــير عبد القادر أثناء إقامته في إمبواز واصطحابه عندما توجه إلى المشرق.

وتبدأ المراسلات بين الشاذلي وبواسوني في فاتح سنة 1848 ، ذلك أن بواسوني قد استقر في فرنسا ملازماً للامير ، بينما عاد الشاذلي إلى الجزائر في 23 أوت سنة 1847 . ولم يعد الشاذلي وحده ولكنه كان ضمن الوفد الذي قلنا أنه من أعيان غرب ووسط البلاد ، ولم يسرع الشاذلي بالعودة إلى قسنطينة بل أقام حوالي شهر في مدينة الجزائر التي لم يغادرها سوى في نهاية سبتمبر من نفس السنة ، متوجهاً إلى قسنطينة عن طريق البر ، وتذكر جريدة (الأخبار) أن الشاذلي قد « إضطر إلى الإقامة في مدينة الجزائر عدة أيام » دون الإشارة إلى

السبب ولانستبعد أن يكون قد مدّد إقامته للاتصال ببعض أصدقائه وقضاء بعض مآربه ، ولكنه لم يكد يعود إلى عمله حتى بدأ مراسلاته مع بواسوني[1] ، ويبدو أن الشاذلي كان قد إستمرأ الحياة في فرنسا فاصبح يرغب في العودة إليها بشتى الوسائل ، ولعل هذا يفسر نقله إلى امبواز لمؤانسة الأمير خلال 1849 _ 1850 ، كما سنرى ، وفي هذه الرسالة طلب الشاذلي من بواسوني أن يسعى إلى نقله عنده في إمبواز ، وبلغ به الحرص على تحقيق ذلك أنه طلب اعفاءه من وظيفة القضاء ، ولكن خليفة بواسوني في الشؤون الأهلية رفض أن يعفيه منها ، ولم يصر الشاذلي على نقله إلى فرنسا ، بل كان المهم عنده أن يخرج من قسنطينة ويلتحق ببواسوني ولو في المشرق ، فقد طلب في الرسالة نفسها من بواسوني أن يسعى لكي « تلحقني بك للناحية الشرقية وتجذبني للاسكندرية»،[2] وعلل الشاذلي ذلك بأنه « غيرناو للاقامة (في قسنطينة) للاعوجاج في الأمور وعدم الإستقامة ،» ويبدو أن الشاذلي لم يعد يجد راحته في قسنطينة على يد المسؤولين الجدد بعد ذهاب صديقه بواسوني عنها فاراد الإنتقال منها أما إلى فرنسا حيث بواسوني وأما إلى المشرق الإسلامي .

(1) رسالة بتاريخ 26 يناير ، 1848 ، من الشاذلي لبواسوني .

(2) رسالة بتاريخ جويلية (دون ذكر اليوم) ، سنة 1848 ، من الشاذلي لبواسوني .

وقد حقق له بواسوني ما أراد ، فكتب اليه يطمئنه ويعده بنقله إلى فرنسا ، ولذلك شكره الشاذلي على مساعيه ، وفي نفس الوقت عزاه في وفاة أخويه ،[1] وعبر له عن تذمره من البقاء في قسنطينة بعده وأضاف قائلا بأنه مازال « في قلق وأرق » ، ووصل الشاذلي إلى باريس بتاريخ 15 / 10 / 1849 وكتب في الحين الى صديقه الذي كان عندئذ رفقة الأمير عبد القادر يخبره بوصوله وبنزوله في ساحة المادلين عند السيد دين[2] ، وقد صارحه بانه قد جاء لكي ينظر (بواسوني) في أمره ، ويبدو من هذا أن الشاذلي لم يات أصلا لتسلية الأمير وانما جاء تحقيقاً لرغبة شخصية ، وأن بواسوني قد أحرج بقدوم صديقه فاقترح عندئذ فقط بقاءه فترة من الزمن تحت ستار مؤانسه الامير ، أو أنه لم يصارح الشاذلي بما كان قد أعد له الا بعد وصوله الى باريس .

وحتى عندما أصبح الشاذلي في مؤانسة الامير لم يكن يقيم معه باستمرار ، بل كان يذهب من وقت الى آخر الى باريس لقضاء حاجاته الشخصية ، وكان الشاذلي خلال هذه الفترة أيضاً (شتاء 1849 _ 1850)

---

(1) رسالة بتاريخ 22 جوان ، 1849 ، من الشاذلي إلى بواسوني .

(2) رسالة بتاريخ 16 أكتوبر ، 1846 من الشاذلي إلى بواسوني ، ولا نعرف الآن من هو السيد دين الذي نزل عنده الشاذلي .

يحمل فضول أعيان الفرنسيين الذين كانوا يوجهون اليه الدعوات لزيارتهم بواسطة بواسوني ، من ذلك رسالة وإلى أندر — اللوار Indre-Loire إلى بواسوني التي وجه فيها الدعوة باسمه وباسم زوجته اليه وإلى السيد الشاذلي الذي قال: إنه سمع عنه الكثير مما يحبب في رؤيته[1] كما أتصل الشاذلي بدعوات أخرى[2] .

لقد كانت هناك أمور كثيرة تشغل الشاذلي أثناء مقامه في فرنسا ، من ذلك أنه ذهب في أوائل مارس سنة 1850 إلى باريس ، تاركا صديقه الأمير عبد القادر في امبواز ليتصل باسماعيل عربان[3] الذي كان أيضاً على صلة بالشؤون الأهلية في وزارة الحربية الفرنسية ، وقد حدثه في قضية السيد أحمد بن سالم وأسرته ،[4] كما إتصل بالجنرال

---

(1) رسالة بتاريخ 28 يناير ، 1850 ، من الوالي إلى بواسوني .

(2) مثل دعوة السيد كوفيي Cuvier ، ورسالة بتاريخ 27 فبراير ، 1850 ، منه إلى بواسوني .

(3) كان إسمه موسى اربان ولكن غيره إلى إسماعيل بعد أن أعتنق الإسلام وتزوج عربية وأصبح من أنصار « الجزائر للجزائريين » ونشر كتاباً بهذا العنوان ، وكان مترجماً للدوق دومال ، ثم أصبح مترجماً لنابليون الثالث ، ويقال: إنه قد أثر على نابليون في سياسته نحو الجزائر تأثيراً كبيراً .

(4) كان أحمد بن سالم خليفة للامير عبد القادر في منطقة حمزة (القبائل الكبرى) ولكنه استسلم للفرنسيين بعد تغلبهم عليه ، وذلك في أفريل سنة 1847 ، وكان لإستسلامه أثر كبير على الأمير ، وجاء ابن سالم إلى مدينة الجزائر ، رفقة الضابط دوكرو Ducrot مسؤول المكتب العربي بسور الغزلان ، ومنها نقل إلى المشرق العربي حيث التقى بالأمير .

دوماس[1] وبلغه رسالة من بواسوني ، وكان يريد الإتصال أيضاً بالجنرالين بلونديل وبيدو[2] ثم كتب إلى صديقه بواسوني يخبره بأنه قد وقع في حب فتاة فرنسية وأنه « أردت اتزوج ببريز مع بنت عمرها سبعة عشر عاماً »[3] وأنه في إنتظار إذن من وزارة الحربية لكي يرجع إلى أمبواز ، ولطول مكوثه في باريس كتب بواسوني متحيراً عنه مستفسراً إسماعيل عربان عما جرى له وما إذا اشتكى به أحدهم فاوقفوه هناك ، وكان الشاذلي على صلة وطيدة باسماعيل عربان أيضاً ، وهو الذي أخبره بتاريخ أطلاق سراح رفاق الأمير عبد القادر قبل وقوعه ، وهو الذي إقترح تعيينه في منصب ناظر مدرسة قسنطينة[4] .

وتمزق الشاذلي في باريس بين واجباته وعواطفه ، فقد كان مشغول

---

(1) تولى عدة مناصب تتصل بالجزائر : منها قنصل فرنسا لدى الأمير في معسكر بعد معاهدة التافنة (1837) ورئيس الإدارة المركزية للشؤون العربية وقد رافق الأمير في فرنسا قبل التحاق بواسوني به (1848) .

(2) عرفنا من قبل دور بيدو ، أما بلونديل فقد تولى أيضاً إدارة الشؤون الجزائرية في وزارة الحربية بباريس .

(3) رسالة بتاريخ 6 مارس ، 1850 من الشاذلي إلى بواسوني .

(4) رسالة بتاريخ 12 مارس ، 1850 من الشاذلي إلى بواسوني .

البال بأمر الفتاة التي وقع في حبها والتي كان يريد الزواج منها والتي قال عنها: إنها « عاقلة جميلة وليس عندها شيء من الدراهم ولكن رضيت أن تتزوج معي أمام السيد الحاج عبد القادر وتذهب معي إلى قسنطينة واعجبني هذا الأمر كثيراً ، واقترح الشاذلي أن يصحبها معه إلى امبواز هي وأمها أو زوج أمها وأن يتزوجها في هذا القصر على يد الأمير عبد القادر[1] وتحير الفرنسيون الذين كانوا يخشون أن زواجه هذا قد يؤدي إلى سقوطه ، فتحركت الجهات الفرنسية المعنية لتمنع هذا الزواج ، ولذلك أسرع الكاتب والمترجم الإسكندر بيلامار إلى الإستنجاد ببواسوني في الموضوع قائلا : « إنني أطلب نجدتك لإنقاذ صديق من خطر يتهدده نتيجة غلطة يوشك أن يقع فيها ، أن الشاذلي يريد الزواج من فتاة فرنسية مجهولة الإسم والأصل ، وقد جاء يطلب مني ارشاده الى الاوراق التي عليه أن يعدها ، وأن الشاذلي سيسافر غداً أو بعد غد الى أمبواز ، وسوف لايكون صعباً عليكم أن تبرهنوا له على أنه لايستطيع الزواج في بلاد فرنسية بواسطة الطلبة (العلماء) العرب[2] » .

---

(1) نفس المصدر .

(2) رسالة بتاريخ 12 مارس ، 1850 من الإسكندر بلامار إلى بواسوني .

وليس بوسعنا الآن أن نبرهن على أن الشاذلي قد تزوج من الفتاة أو كيف اقنعه بواسوني بالعدول عن خطته ، بل وليس في وسعنا البرهنة الآن على تاريخ عودة الشاذلي إلى مقر عمله بقسنطينة ، وكل ما نعرفه من الرسائل التي أمامنا هو أنه قد انشغل بهذه القضية في باريس فلم يستطع حضور سفر العرب من امبواز [1] كما أنه إنشغل بأمر نظارة المدرسة التي وعده بها إسماعيل عربان ، فراتب القضاء أعلى من راتب النظارة ـ واحتار أيهما يفضل ، ورغم أنه يفهم من كلام بيريس [2] ومورنان [3] إن الشاذلي كان يعمل على إقناع الأمير بالصبر والأنتظار وعلى أحاطته بالحياة الفرنسية وتليين جانبه ، ورغم أن الأمير قد قال عنه:إنه قد تكبد المشقة في مجيئه إليه ، فان الشاذلي في الواقع كان يقضي أوقاته في حل مشاكله الخاصة ، ونحن لاندري كيف وقع الشاذلي في حب الفتاة المذكورة ولكن الظاهر هو أن شعره العاطفي الذي رواه له الأمير في مساجلاته معه كان يعني به هذه الفتاة وجاء في رسالة أخرى من مدينة تور [4] أن صاحبها قد حصل على موعد

---

(1) رسالة بتاريخ 12 مارس ، 1850 من الشاذلي إلى بواسوني .

(2) بيريس ، ص 338 .

(3) F. MORNAND, La Vie Arabe, PARLS, 1856, pp. 315—315

(4) رساله بتاريخ 2 مايو 1850 من شارل قابو Gabeau إلى بواسوني .

مع الطبيب لفائدة الشاذلي ، وهذا يدلنا على أمرين أولهما أن الشاذلي كان مريضاً ، غير أننا لاندري ما مرضه ، والثاني أنه كان ما يزال في فرنسا حتى شهر مايو سنة 1850 .

ومهما كان الأمر فان الشاذلي قد رجع إلى قسنطينة في أوائل صيف سنة 1850 . ويحس المرء إن الشاذلي كان غير راض بوضعه في بلاده وأنه كان يرغب في الخروج منها كلما وجد إلى ذلك سبيلا ، فبعد محاولاته الذهاب إلى الاسكندرية أو فرنسا ، نجده يحاول ، بعد عودته إلى قسنطينة أن يتوجه إلى مكة مروراً بفرنسا أيضاً ، [1] وكان الشاذلي كثير التعبير عن قلقه وضجره ، فقد طلب من بواسوني مجدداً أن يعمل على « التوجه إليكم وتجدوا في وجوه السفر إلى نحوكم فانا متقلقون كثيراً ، » [2] فهل كانت هذه الرغبة الملحة في العودة إلى فرنسا تعود إلى تعلقه بتلك الفتاة أو إلى مرافقة الأمير عبد القادر أو إلى مصالح أخرى دنيوية جرب لذتها هناك ، أو كانت تعود إلى الأوضاع الشخصية والسياسية في قسنطينة خاصة والجزائر عامة ؟ هذا على كل حال غير واضح من النصوص الحالية ، ويدل على تعلق الشاذلي بالناس الذين عرفهم أثناء مقامه في فرنسا أنه كثيراً ما كان يبعث

---

(1) رسالة بتاريخ 4 مايو ، 1850 من مركز باتنة الى بواسوني .
(2) رسالة بتاريخ 2 يناير ، 1852 من الشاذلي إلى بواسوني .

بسلامه ويكثر من السؤال عن الحاج عبد القادر « وجميع رفقاي » أو يستعمل عبارة « وكل من جمعه القصر » يعني قصر امبواز ، أو يذكر أسماء معينة مثل الطبيب طيس (؟) والضابط ملى ، الخ[1] .

وتتكرر حالة تذمر الشاذلي وشكواه مما كان فيه في عدة رسائل إلى بواسوني حتى لقد قال ذات مرة أنه كان في « محنة ومعاناة » ، وأنه قد أصبح « كالتائه في البيد والعليل بلاطبيب »[2] وتشير إحدى الرسائل التي تبادلها مع بواسوني إلى أن الأمير عبد القادر قد طلبه إليه ، ويبدو إن السلطات الفرنسية في الجزائر قد خيرته بين الذهاب إلى الأمير وفقدان نظارة المدرسة أو الاحتفاظ بوظيفته ورفض طلب الأمير ، ولكن الشاذلي كان يريد الجميع ، لذلك استنجد ببواسوني في مساعدته على السفر إلى الأمير مع الاحتفاظ بوظيفته على أن تدفع له الدولة مصاريف السفر والإقامة (ليكون لي بذلك إحترام في سفري وليكون المصروف أيضاً عليها) ، غير أن الظاهر هو أن السلطات الفرنسية رفضت طلبه أو لعل بواسوني لم يجد في الموضوع ، ويبدو أن ظروفا خاصة قد جعلت العلاقة تبرد شيئاً فشيئا بين الرجلين ، فرغم إن المراسلات قد إستمرت بينهما فانها قد أصبحت شكلية فقط

(1) نفس المصدر .
(2) رسالة بتاريخ 7 جوان ، 1853 من الشاذلي الى بواسوني .

مقصورة غالباً على التهنئة بعيد رأس السنة الميلادية أو بميلاد طفل جديد ، أو على أخبار سريعة تتعلق بالعائلات ، ومن جهة أخرى أصبح الشاذلي ينيب عنه إبنه محمود ، الذي كان قاضياً في سطيف ، في الكتابة إلى بواسوني ،[1] وفي رسالة كتبها إبنه محمود بخطه الجميل على لسان والده أضاف الشاذلي نفسه بيتين في تهنئة بواسوني بعيد رأس السنة وبتقلده رتبة جنرال ، هما :

اتاكم هـذا العـــام بالعز والهنا
ونيـــل مناكم وارتقاء المناصب
وبالأهل والأولاد قرت عيونكم
وتصرف عن كل وجوه المصائب[2]

وتتضح من هذه المراسلات وما سبقها من صلات علاقة الشاذلي بالفرنسيين والحياة الفرنسية ، والواقع أن صلة الشاذلي ببواسوني بالذات هي التي لعبت دوراً رئيسيا في حياته ولعلها هي التي حددت مستقبله الشخصي والاجتماعي ، ولم تكن علاقتهما مجرد صلة بين

(1) مثلا رسالة بتاريخ 7 أكتوبر 1855 ، وأخرى بتاريخ 9 يناير 1859 و كلتاهما من محمود الشاذلي الى بواسوني .
(2) رسالة بتاريخ 7 يناير ، 1860 من محمود الشاذلي الى بواسوني . وهى آخر رسالة عثرنا عليها في هذه المجموعة .

صديقين أو بين إنسان فرنسي يحرص على أن يكسب لقومه أنصاراً جزائريين جداً وإنسان جزائري له مطامح ومصالح يحاول أن يحققها بشتى الوسائل ، بل تجاوزت ذلك إلى علاقة إجتماعية وطيدة وإرتباط شخصي عميق ، ونحن وأن لم نقف على رسائل بواسوني إلى الشاذلي فان ما وقفنا عليه من رسائل هذا إلى بواسوني والموضوعات التي كانت تدور بينهما تكشف لنا بوضوح عن وجود صداقة متينة بين الرجلين فبواسوني كما نعلم هو الذي إقترحه لوظيفة القضاء ، وهو الذي كان يحميه من خصومه الجزائريين والفرنسيين ، ويتوسط له في حل المشاكل التي كانت تعترضه ، ويقدمه إلى معارفه من الفرنسيين وكذلك إلى الرسميين منهم .

وقد كان الشاذلي يحفظ هذا الود ويرد التحية باحسن منها ، فكان يخاطب بواسوني دائماً بعبارات التودد والصداقة المكينة ويبثه شكاواه وآماله لأنه موضع ثقته ، فقد استنجد به في الحصول على أرض (وادي الذهب) التي أراد بعضهم إخراجه منها ،[1] ولجأ إليه في قضية زواجه من الفتاة الفرنسية ، وطلب رأيه عندما عرضت عليه وظيفة نظارة المدرسة ، وعندما طلبه الأمير عبد القادر إليه في المشرق كما كان الشاذلي على صلة بأسرة بواسوني ، فكان يرسل إليها تحياته

(1) رسالة بتاريخ 7 جوان ، 1853 من الشاذلي الى بواسوني .

ويكثر من السؤال عن إخوته وأطفاله وأمه وزوجته ، وقد هنأه بميلاد بعض أطفاله كما عــزاه في وفاة بعض إخوته ، أما زوجته (بواسوني) فقد كان الشاذلي يخصها بالعبارات الرقيقة الشفافة ، وقد جاء في إحدى رسائله إلى بواسوني سلامه إلى زوجته الأديبة (فأنا لم نقف القليل من ملاقاتها وطيب حديثها ومفكهاتها)[1] وجاء في أخرى قوله بعد السؤال عنها (أنها حلت بقلبنا محلا أثيراً)[2] .

وبواسطة بواسوني إستطاع الشاذلي أن يتعرف على زعمـاء الادارة الفرنسية في الجزائر وأن يكون مع بعضهم علاقات خاصة ، فقد تعرف على الدوق دومال الذي مدحه بقصيدة ، وتعرف على إسماعيل عربان المستعرب الذي كان مترجما في الادارة الفرنسية ثم أصبح العضد الأيمن للامبراطور نابليون في شؤون الجزائر ، وهو الذي إقترحه لنظارة مدرسة قسنطينة كما سبق ، وتعرف كذلك على الجنرال بيدو الذي خلف الدوق دومال في الولاية على قسنطينة والذي كان يحسن العربية ويهتم بشؤون الأهالي ، كما كان على صلة بالجنرال دوماس الذي كان متوليا شؤون الجزائر في وزارة الحربية والذي لعب دوراً بارزا في العلاقات بين الأمير عبد القادر وفرنسا ، واتصل بالضابط

(1) رسالة بتاريخ 7 جوان 1853 من الشاذلي إلى بواسوني .
(2) رسالة بتاريخ 22 جوان 1853 من الشاذلي إلى بواسوني .

الاسكندر بيلامار مؤلف كتاب (حياة عبد القادر السياسية والعسكرية)[1] ولاشك أنه تعرف أيضاً على آخرين كانوا في الصفوف الأولى في المسائل الأهلية ، وبواسطة بواسوني أيضاً نفذ الشاذلي إلى المجتمع الفرنسي ، فالى جانب الدعوات الرسمية التي كانت توجه إليه لحضور حفلات توزيع الجوائز أو السهرات الفنية ، كانت هناك دعوات على المستوى الشعبي من عائلات كانت تسمع عنه وكان الفضول يقودها إلى التعرف عليه والاجتماع به ، وهذا ما كان من أسرة السيد والي (الاندر – اللوار) وأسرة السيد كوفيي وآسرة السيد قابو وغيرهم .

وبالإضافة إلى ذلك كان الشاذلي منفتحاً على تيارات الحياة الفرنسية ، ومن الأسف أننا لم نجد صورة له لنعرف من خلالها لباسه وهندامه وملامحه العامة ، كما أننا لم نعثر على وصف لشكله الظاهري ، أو على مجموعة دقيقة من أرائه في الحياة وفي الناس ، باستثناء ماروته (الأخبار) عن إنطباعاته أثناء رحلة 1847 ، وإذا كانت مهنته قد جعلت منه رجلا محافظاً (القضاء ، وتدريس النحو) فإن تصرفاته وأشعاره تظهره بمظهر المتحرر المتنور المتسامح المتقبل

(1) باريس 1863 . والكتاب من أفضل الترجمات الشخصية للأمير وقد اعتمد فيه على انطباعات الجنرال دوماس عن الأمير ، وبيلامار كان أيضاً مترجماً وعلى صلة وطيدة بالحياة العربية .

لتيارات المدنية العصرية ، وإذا كان الأمير عبد القادر رجل دين أولا ثم رجل دنيا فإن الشاذلي كان رجل دنيا أولا ثم رجل دين ، لذلك نجده يحضر الحفلات المسرحية الفرنسية ، وجلسات الأكاديمية الفرنسية ، ويوقع رسائله العربية بالفرنسية ، ويؤرخها منذ ذهابه إلى فرنسا (1849 _ 1850) ، بالتاريخ الميلادي بدل الهجري ، ويسعى في باريس للزواج من فتاة فرنسية غريبة الأصل مجهولة الإسم ، ويهتم في كثير من علاقاته بالناحية المادية فيطلب من بواسوني نقوداً وساعة « وحوائج » أخرى ، وإذا عرضت عليه وظيفة جديدة أو سفر جديد يطيل التفكير والتقدير في قيمة المال الذي يدره هذا ولا ياتي به ذلك، واستنجد مرة ببواسوني لكي « تنعم الدولة علي بهذه الأرض » ، (يعني الأرض المعروفة بوادي الذهب) التي قال:إنه سيبني بها برجا ويغرس فيها الأشجار ويقيم فيها رحي كبيرة ويعيش عليها مع أهله .[1]

وهذه الرسائل ، التي هي بلا شك غير كاملة ، تساعدنا على فهم شخصية الشاذلي وعلاقاته ، ولا سيا بالأمير عبد القادر وببعض الفرنسيين ، ولكنها أيضاً تساعدنا على التعرف على نثر الشاذلي

(1) رسالة بتاريخ 10 فبراير 1854 من الشاذلي إلى بواسوني .

وذوقه ، أما أدبه فلم يدرسه الدارسون إلى هذه الساعة حسب معرفتي ، وعلى أية حال فإن رسائله التي بين أيدينا تكشف لنا عن أديب بارع رقيق الإسلوب فني العبارة حلو الألفاظ خفيف الروح ، وإذا كان الامير أقوى منه شعراً فإن الشاذلي يفوقه في رقة النثر ، ولا غرابة فالشاذلي كان أستاذاً في النحو إلى جانب كونه أديباً ، أما الامير فقد كان فارساً ومرابطاً[1].

***

(1) كان الشاذلي أيضاً يركب الخيل ، وكانت له فرس خاصة .

علاقته بالأمير عبد القادر

لاندري متى بدأت صلة الشاذلي بالأمير عبد القادر ، هل سبق لهما التعارف الشخصي قبل شتاء 1849 _ 1850 ؟ لا أحد قد تحدث عن ذلك على مانعلم ، والقصيدة إلتي سنقدمها لا تصرح بأن الشاذلي قد زار الأمير أو عرفه شخصياً قبل التاريخ المذكور ، وتذكر المصادر الفرنسية[1] أن سبب سفر الشاذلي إلى امبواز هو أن السلطات الفرنسية في الجزائر قد رشحته لمؤانسة الأمير بعد أن أبدى هذا قلقاً من الوحدة التي كان يعانيها ، ولكن هذه المصادر لاتذكر ما إذا كان الأمير قد طلب الشاذلي بالإسم أو أن السلطات الفرنسية ، وبالأخص المكتب العربي في قسنطينة ، هي التي اختارت الشاذلي دون غيره ، غير أننا عرفنا من الرسائل ومن ظروف أخرى أن الشاذلي كان راغباً جداً في العودة إلى فرنسا والعيش فيها والإتصال هناك ببعض

(1) أخذ بهذا الرأي أيضاً الأمير محمد في تحفة الزائر ، جـ 2 ص 18 .

شخصياتها ، ولاسيا بعد أن ذاق في الرحلتين السابقتين لذة التكريم والإعتبار ، وقد لاحظنا من قبل أنه خلال رحلة سنة 1847 قد أبدى إعجابا قويا بمظاهر الحضارة هناك أو على الأقل هكذا صورته المصادر الفرنسية عندئذ ، كما لاحظنا أن الشاذلي لم يكن راغباً في البقاء في قسنطينة وأنه كان ، يشعر بنوع من الإلزام في التمادي في وظيفته ، وأنه كاديب كان يريد التنقل واقتطاف ثمار المعرفة حيث وجدها ، ولكن هل كان الفرنسيون على علم بقصيدة الشاذلي في الأمير أو على الأقل برأي الشاذلي فيه ، وهو الأمر الذي جعلهم يقدمونه على غيره من علماء الجزائر عند إختيارهم من يؤانس الأمير ؟ هذا أيضاً ما لانستطيع الجزم به لعدم وجود الأدلة القاطعة .

ومهما يكن من أمر فان المصادر الفرنسية تذكر أن الشاذلي لم يقم لدى الأمير بدور الرفيق المسلي فقط ولكنه قد قام أيضاً ، وهذا هو المهم ، بدور المطمئن والمعرف بالحضارة الفرنسية وبالمشاكل الفرنسية السياسية والإقتصادية التي منعت حتى ذلك الحين من اطلاق سراحه ، فالأمير ، بناء على هذه المصادر ، كان قلقاً منزعجاً من ترك قضيته جانباً واهتمام الفرنسيين بمشاكلهم الخاصة وأنه قد إستسلم إلى نوع من اليأس والقنوط موطناً نفسه أن مصيره سيكون السجن المؤبد والنسيان الابدي ، ومن جهة أخرى كان الفرنسيون منشغلين

بمشاكل الحكم والتنظيم الاجتماعي ، فهذا الحكم الملكي قد سقط وحلت بعده الجمهورية الثانية ، ولكن التحزبات وظهور القضايا العمالية ونفوذ الجيش وامكانيات انقلاب في صالح الإمبراطورية ، كلها كانت لاتسمح للفرنسيين بالتفكير فى قضية جزئية صغيرة مثل سجن أو إطلاق سراح عبد القادر ، لذلك فكر خبراؤهم فيمن يخفف عنه الوطأة فلم يجدوا أفضل من الشاذلي الذي كانوا يثقون في موقفه منهم والذي كان في نفس الوقت أديباً وقاضياً ، أي عالما من علماء الجزائر الذين في إمكانهم ملء عين الأمير بعلمهم ومعارفهم وأدبهم ، وقد جاء الشاذلي ، بناء على هذه المصادر ، ليقول للامير بأن الفرنسيين غير ناسيين له ولكنهم كانوا منشغلين بقضايا أهم من قضيته ، وليطلعه على ما للفرنسيين من حضارة عريقة ونظم سياسية واجتماعية جديرة بالاحترام ، وبالتالي ليخفف من غلواء ونقمة الامير ضدهم ، فكان مهمة الشاذلي كانت تليين عريكة الامير ورفع روحه المعنوية وتخفيف حدة طبعه وتعصبه الديني نحو الحضارة الاوربية عامة والفرنسية خاصة ، (1) وبهذا التفسير تصبح مهمة الشاذلي نحو الامير مهمة سياسية وليست إنسانية ، ولكننا عرفنا أن الشاذلي كان قد جاء إلى فرنسا بدون ترتيبات سابقة وانه كان في الواقع يعمل أثناء وجوده في فرنسا

(1) هذا هو الرأي الذي أخذ به بيريس ، ص 337 - 338 ، ومورنان ص 315

لمصالح شخصية ، أما السياسة الفرنسية ومؤانسة الأمير فقد كانتا في الدرجة الثانية بالنسبة اليه .

وصل الشاذلي إلى باريس في أكتوبر سنة 1849 [1] ، وبعد أن أقام بها فترة توجه إلى امبواز لأداء مهمته بجانب الأمير ، وفي امبواز توطدت العلاقة بين الرجلين ، وتعددت بينهما الزيارات والمساجلات الشعرية ، ويبدو أن الشاذلي كان يقيم في جزء من القصر خلال هذه المدة ، ولكنه كان يتردد على باريس من وقت لآخر لقضاءمآر به وتدبير شؤونه ، ومرض أثناء ذلك عدة مرات وكان شتاء منطقة اللوار القارس أقوى من جسمه فلم يحتمله ، بالإضافة إلى مرض عينيه ، ومعنى هذا أن إقامته في امبواز لم تكن كلها سعادة وهناء ، ولاندري أيضاً ما إذا كان الشاذلي قد جاء بأهله أو ببعض أقاربه معه ، ولكن الظاهر أنه قد جاء منفرداً ، ولذلك كان هو الاخر يبحث عن مؤانسة في ليالي الشتاء الباردة ، فالتقى بالفتاة الفرنسية وأحبها حباً جما وأراد الزواج منها ، وهي التي دخلت شعره الرقيق الذي ساجل به الأمير ، عندما قال :

---

(1) رسالة بتاريخ 16 اكتوبر 1849 من الشاذلي إلى بواسوني ، وقـد جاء فيها انه وصل إلى باريس يوم 15 اكتوبر ، وأنه قد نزل في ساحة المادلين رقم 33 عند السيد دبين ، وأنه قد حلّ بباريس لكي ينظر بواسوني في أمره .

أيا أهل فن الطب بالله خـــبروا
أيوجـــد للصب النحيـــل دواء

كلفت بهـــا وهي الفريدة والتي
تجمـع فيهـــا الحسن وهي ضيــاء

وهكذا أصبح الشاذلي هو الغريب وليس الأمير ، وقد زاده المرض شعوراً بالغربة إلى أن شكا ذلك للامير في قوله :

مرضتغريبـاً بـين قـــوم أعـــزة
فـــكلهم عن زورتي متمنـــع

إذا كنت مصحوب السلامة أقبلوا
وإن كنت في سُقم فربعك بلقع

ولم يجد الأمير بدأ من أن يسليه ويخفف عنه هذا الشعور القاسي ، فكتب إليه :

ولست غريبـاً بـين قـــوم أحبـــة
مـــكانك فيهم من بني الدهر أرفع

ومن العجيب أن رجلا غريباً في وسط العمر (كان عمره آنذاك حوالي 42 سنة) بعيداً عن زوجته يأكل إلى حد التخمة صفار البيض مع الأمير عبد القادر الذي كانت معه زوجته وسراريه ، حتى إذا

ما هاجت نفسه واشتد به الشوق راح ينصح الشباب بأن لايفعلوا فعلته[1] .

ويصرح الأمير بأنه لم ير الشاذلي قبل امبواز وإنما سمع عنه كثيراً ، وكان يرغب في التعرف عليه والاجتماع به ، ولكن الظروف لم تسمح له بذلك ، وفي الأبيات التالية التي إستقبل بها الأمير ضيفه عند وصوله دليل على ما نقول :

طـالت مساءلـتي الركاب تشوقاً
لجمـال رؤية وجهك المتعاظـم

لاغرو أن أحببتكم من قبل مـا
شاهدتـكم أنـتم جمـال العالم

كانت على سمعي تغـار نواظري
حتى راتك وأنت إنت مـكالمي

فهذه الأبيات لاتدع مجالاً للشك في أن الأمير كان قد سمع الكثير عن الشاذلي ولكنه لم يلتق به ، وأنه كان يسأل عنه الغادين والرائحين ويود لقائه ويحس نحوه بميل خاص ، حتى لقد كانت عيناه تغاران من

(1) انظر هذه القصة في تحفة الزائر ، ج 2 ، ص 25 .

سمعه عليه ، إلى أن تحقق ما كان يريد ، واجتمع الصديقان وجهاً لوجه ، أما الشاذلي فقد أشار أيضاً إلى أنه كان يشرئب إلى رؤيه الأمير ، وأنه كان يريد لقاءه ولـكن على سدة الملك وليس في سجن امبواز ، غير أن الأيام تدور والدهر خداع ، فلنستمع إليه :

وكان مرادي إن ألا قيـكم على
بساط عزيز الملك والحرب في نشب

وما كان في ظـني أرى سيدي كما
رأيت ألا لله ما تصنع النوب[1]

فهذان البيتان لايدعان مجالا للشك أيضاً في أن الشاذلي لم ير الأمير من قبل ، بيد أنهما تنمان عن شيء جديد وهو أن الشاذلي كان قد سمع بالأمير أثناء معاركه وحروبه وأنه كان يتطلع إلى ملاقاته وهو عزيز قوي صاحب ملك وسلطان ، ولكن أمنيته لم تتحقق ، فهذا المعنى يساعدنا على فهم القصيدة التي سندرسها بعد قليل ، والتي ما هي إلا نداء من بعيد إلى رجل سبقته سمعته لينجد قوماً كانوا في شدة وعسر ، والواقع أن دراسة المساجلات دراسة نفسية وتاريخية تساعد على فهم العلاقة بين الرجلين .

(1) انظر هذه المساجلات في نفس المصدر ، ص 19 – 25 .

وللامير رأي واضح في صالح الشاذلي ، فبالإضافة إلى الاوصاف التي أطلقها عليه في المساجلات مثل « الحبيب » و « فريد عصره » و « قرة العين » و « سمي قطب العارفين »[1] فإنه قد وصفه نثراً أوصافاً قريبة من النفس حبيبة إلى القلب ، من ذلك قوله فيه « كان لنا خير أنيس وأحسن جليس ، نفّس من همومنا بلطائفه وطرائفه مالا تنفّسه الصبا ، وأجلى من أحزاننا ما لا تجليه الصهبا »[2] ويبدو أن الامير قد ألفه كثيراً وفرح بمقدمه وأقامته معه وتألم لفراقه غاية التألم ، وقد قارن بين حالته قبل قدومه عليه وحالته بعد فراقه له ، معترفاً له بالفضل « لازمني أيام نفور الحميم والقريب ، وآنسني حين لا أنيس لي من الجنس أو غريب وتجشم شقة دونها أكبر مشقة في مكان لايقتحمه الاسد الهصور ، بل تنقطع دونه أجنحة النسور ، وكنا قبل وروده علينا نناغي الحائم ، ونسامر الفرقدين والحمائم ، وإن كانت الحمائم إذا صدحت لاتفهمنا ، وتجيبنا بالشجي فتدنفنا »[3] وقد ارتبطت بينهما هذه الصداقة واستمرت حتى بعد عودة الشاذلي إلى قسنطينة وارتحال الامير إلى المشرق ، فقد وجدنا في بعض

(1) وهو يعني بذلك أبا الحسن الشاذلي ، صاحب الطريقة المعروفة باسمه ، وقد كان الأمير شاذليا » أيضاً .

(2) انظر تحفة الزائر ، جـ 2 ، ص 19 .

(3) نفس المصدر ص 241 .

الرسائل[1] أن الامير قد طلبه إليه في المشرق وأن الشاذلي قد رحّب بذلك ، غير أنه إشترط بعض الشروط المادية على الدولة الفرنسية .

وللشاذلي رأي في الامير جدير أيضاً بالوقوف عنده ، وإذا كانت القصيدة التي سنتعرض لها صريحة في إعجابه به ورفعه إلى مصاف القواد العظماء والرجال الشرفاء ، فإن أوصافه له المتبثة هنا وهناك تعطي صورة واضحة على تقديره للامير ، وكان الشاذلي يظهر التواضع الجم أمام الامير حتى لقد وصف نفسه « بالعبد الذليل » وخاطب الامير بقوله « سيدي » ونعته بصاحب الخلق الكريم والمحتد النبيل ، وكان عنده محل ثقة واحترام حتى لقد طلب أن يتزوج على يديه بالفتاة الفرنسية ، ورحب ، كما رأينا ، باللحاق به في المشرق ، ومن سوء الحظ أننا لم نعثر على كل أوراق الشاذلي ، ولو تحقق ذلك لكشفت لنا عن المراسلات التي قد تكون دارت بينه وبين الامير بعد عودته من عنده أو في مناسبات أخرى .[2]

(1) رسالة بتاريخ 10 فبراير 1854 ، ويقول الشاذلي أن العقيد دنف هو الذي أخبره من مدينة الجزائر بأن الأمير قد طلبه إليه ، وقد عثرنا على رسالة بتاريخ 9 فبراير 1853 من الأميرال السيد ف ، هليفي Halivy يطالب فيها الأمير (وهو عندئذ في بروسة) ارسال الشاذلي لمؤانسته « مجموعة رسائل بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2274 » .

(2) كان الشاذلي محبوباً أيضاً لدى أسرة الأمير ، ويذكر السيد مورنان (ص 313) انه قد وجد عند زيارته لقصر امبواز طفلي الأمير محمد ، صاحب تحفة الزائر ، ومحي الدين يلعبان في الحديقة ، وكان أول ما سألاه عنه هو أحوال الشيخ الشاذلي ، والمعروف أن الأمير كان يحب لعبة الشطرنج ، انظر تحفة الزائر ، جـ 2 ص 307 ، وكذلك كان الشاذلي ، فقد طلب بواسوني ذات مرة منه « الشاذلي » أن يعلم صديقاً له الشطرنج فـدعاه الشاذلي إلى بيته « في باريس » عند العصر وعلمه هذه اللعبة ، وقد روى ذلك الشاذلي بتاريخ 12 يناير 1850 إلى بواسوني .

شعره وشاعريته

وقبل أن ندرس القصيدة الرئيسية نتناول شعره وشاعريته ولو في عرض سريع ، يقول أبو القاسم الحفناوى في ترجمة الشاذلي أنه كان « كثير الاطلاع حاد الفكر قوي العارضة له أشعار رقيقة » ويضيف بأن للشاذلي الاشعار التي ساجل بها الأمير أثناء إقامتهما بفرنسا ، وأن له « عدة قصائد في مواضيع جمة ، »[1] وهذا رأى يكاد ينسجم مع ما عرفنا عن الشاذلي ، فقد كان كثير الصلات ذكياً متعدد الأغراض الشعرية ، ويبدو من خلال دراستنا لآثاره أن للشاذلي ديواناً مجموعاً غير مطبوع ، فقد كان كثير القول في المناسبات المختلفة ، ويذكر سان كالبر أن الشيخ ابن الموهوب قد أطلعه على مخطوطة بخط الشاذلي وجد فيها (اي سان كالبر) القطعة التى عزى بها الشاذلي الأمير عبد القادر في

---

(1) الحفناوي ج 2 ص 386 .

إحدى سراريه وولدها[1] ، فما هو هذا المخطوط ؟ هل هو ديوان شعر الشاذلي ؟ أو هو مخطوطة رحلاته ؟ أو هو شيء آخر ؟ هذا مالا يكشف عنه سان كالبر على كل حال ، ولكن صاحب (تحفة الزائر) قد ذكر القطعة التي أشار إليها سان كالبر في التعزية بتمامها مضيفاً بأنه قد وجدها ضمن أبيات أخري للشاعر ، فما هي هذه (الأبيات الأخرى)[2] هل هي ما نعرفه من القطع أو هي قطع أخرى لا نعرفها ؟ .

وفي آخر سنة 1846 ظهر في قسنطينة تقويم بعنوان (هدية الاخوان)[3] باشراف صالح العنتري الذي كان كاتباً في إدارة الشؤون العربية هناك ، والتقويم عبارة عن كتيب موجه إلى المواطنين الجزائريين ضمنه المؤلف ، بوحي من بواسوني نفسه ، معلومات عامة عن الحضارة الحديثة كطبع الجرائد ومقياس الزمن والسكك الحديدية، كما ضمنه دروساً في الفرنسية ، والذي يعنينا من هذا التقويم هو أنه تضمن أشعاراً للشاذلي جعلت جريدة (الاخبار) تنتقد إدراجها فيه

(1) سان كالبر ص 86 .

(2) الأمير محمد باشا ج 2 ص 25 .

(3) العنوان الكامل لهذا التقويم هو «هدية الاخوان ، فيموافقة التاريخين وتوقيعات الزمان وفوائد متفرقة لها شأن » قسنطينة 1846 .

وتقول بأنه لافائدة منها في حد ذاتها لأنها لا تخدم الهدف الذي من أجله وضع التقويم[1] .

وقد بلغت قصائد الشاذلي في هذا الكتيب ست قصائد هي :

1) في مدح قسنطينة (مترجمة إلى الفرنسية في نفس الكتيب).

2) في مدح الدوق دومال سنة 1844م.

3) في مدحه أيضاً سنة 1846م.

4) في مدح السيد سالفندي (وزير المعارف).

5) في مدح بيجوود ماس .

6) في مدح باريس وأهلها .

وقد جاء في مطلع قصيدته الثانية في الدوق دومال :

(1) أنظر جريدة (الأخبار) 23 مارس 1847 ، وعنوان التقويم بالفرنسية Annuaine Arale (قسنطينة 1847) يقر ابن العنتري بأن بواسوني هو جامع مواد هذا التقويم ، ولذلك لا نستغرب أن يحتوي على موضوعات مثل توافق التقويم العربي والمسيحي ، آيات من الانجيل ، ما قاله المسيح للحواريين ، صلاة مريم عند النصارى ، الخ ، كما افتتح الكتيب واختتم بآيات قرآنية تحث على التسامح والتآخي ، وهو ما كان يهدف اليه بواسوني من التقارب بين المسلمين والفرنسيين (المسيحيين) ، ومن الموضوعات العامة التي اشتمل عليها مبادىء الفصول، الخسوف والكسوف ، رأى الشيخ العطار في أوروبا ، في جر الأثقال ، في التلجراف في علاج الجدري ، الخ .

قدوم جميـــل لا يفارقه السعد
ويصحبه التعظيم والعز والرشد

ويبدو أن الشاذلي قد أنشدها أثناء حفل أقامه الدوق على شرف أعيان وعلماء قسنطينة ، ولعل بواسوني هو الذي طلب من الشاذلي أن ينظم شعراً بهذه المناسبة ، وممـا يلفت النظر فخر الشاذلي بشعره وجعل نفسه (فريدا) في هذا الميدان إذ يقول :

وقائلهـــا يرجو المودة منكم
وفي مدحكم بالشعر كان هو الفرد[1]

ولـكن الشاذلي لم ينظم في هـذه الأغراض فقط بل كان كثير التعبير عن خلجات نفسه بالشعر ، فقد أشرنا إلى ارتجاله الشعر أثناء حضوره جلسة الاكاديمية الفرنسية ، وذكر له العنتري في (تاريخ بايات قسنطينة) بعض الأبيات المكسورة في مدح قسنطينة ، وقد نقل صاحب (علاج السفينة) هذه الأبيات ، وكذلك قصيدته في مدح الدوق،عن العنتري ، وكان الشاذلي يضيف أبياتاً في التهنئة أو التعزية وغير ذلك من الاخوانيات في مراسلاته مع بواسوني ، ونسب إليه

(1) من الواضح أن الشاذلي قد ضحى بالنحو في سبيل العروض ، ولا نظن أن نصب (الفرد) غاب عنه وهو أستاذ النحو ، وهذه القصيدة مذكورة أيضاً في تقويم العنتري .

سان كالبر قطعة مكسورة أيضاً[1] في مدح باريس ، ولا نستبعد أن يكون للشاعر أشعار أخرى وفي أغراض شتى ، كما أشار الحفناوي ، ولـكنها ما زالت في طي النسيان ، فقد عاش عمراً طويلاً حافلاً بالمتنوعات والوظائف والزيارات ، ولاشك أنه قد سجل إنطباعاته شعراً ونثراً ، وأن هـذه الانطباعات ما زالت تنتظر يداً تدرسها وتنشرها .

وبالاضافة إلى ذلك هناك المساجلات التي دارت بينه وبين الأمير ، وهي التي تعرضنا إليها سابقاً والتي أخذت شهرتها من نشرها في كتاب (تحفة الزائر ،)[1] ونـود هنا أن نركز على عدة نقاط حول هذه المساجلات ، الأولى:إننا نرجح أن تـكون القطعة التي مطلعها :

أيا أهـــل فن الطب بالله خبروا
أيوجـــد للصب النحيل دواء

هي من وحي حب الشيخ الشاذلي للفتاة الفرنسية التي التقى بها في باريس وأراد الزواج منها ولـكن ظروفاً خاصة منعته من ذلك ،

(1) سان كالبر ص 78 ، وهي في أحد عشر بيتاً ، ومذكورة في تقويم العنتري أيضاً .
(2) كما نشرت في ديوان الأمير المعروف باسم « نزهة الخاطر في قريض الأمير عبـد القادر » (القاهرة ، بدون تاريخ) ، وكذلك في الطبعة الجديدة التي حققها ونشرها السيد ممدوح حقي (دار اليقظة ، سورية ، بدون تاريخ) ص 58-64 .

الثانية أن هذه القطعة وأمثالها تدل على أن الشاذلي يكون أرق شعراً وأسلس عبارة عندما يتناول موضوعاً ذاتياً ، ثالثاً أن الشاذلي قد أحس بغربة لعلها أشد من غربة الأمير في باريس ، وهذا ما جعل الأمير يؤانسه ويواسيه ويصبره على ما حل به من ألم الانقطاع والمرض والوحدة ، الرابعة أن المساجلات لم تضم كل ما تبادله الأمير والشاذلي من شعر ، وأنه قد يكون في أوراق الأمير محمد صاحب (تحفة الزائر قطع أخري للشاذلي قالها وهو في رفقة والده وإحتفظ بها هذا في أوراقه ومنه انتقلت إلى ابنه ، ومن هذه القصائد والأشعار التى ظلت في أوراق الامير محمد القصيدة السياسية التي سندرسها بعد حين .

ومهما يكن الامر فان الاشعار التي أطلعنا عليها أو التي قرأ عنها تثبت أن الشاذلي كان كثير الشعر متعدد الموضوعات والاغراض ويمكن أن نحصر شعره في مجال الاخوانيات (مدح ورثاء ، ومداعبة الخ) أما شعره الذاتي فهو قليل ، ولـكنه أجود شعره ، وليس لديها من شعره السياسي سوي القصيدة التى سندرسها وهي على مستوى طيب ، ولـكنها غير ممتازة .

أما أسلوبه فيمتاز بالبساطة وسهولة الالفاظ وسيطرة الرو التقليدية عليه ، وفي أشعاره بعض الخلل العروضي ، وليس من المستبعد أن يكون بعض هذا الخلل راجعاً إلى النساخ ، ومن الصعب أن نقار

شعر الشاذلي بشعر معاصريه ، مادمنا لا نملك كل أوجل شعره ، ويكفي أن نقول هنا إن المساجلات التي دارت بينه وبين الامير تظهره في المرتبة الثانية ، إذ من السهولة أن يلاحظ الناقد إن شعر الامير أقوي من شعره وإن الاختيار اللغوي والصورة الشعرية تطاوعان الامير أكثر منه ، بالرغم من أن كليهما مقلد في صوره وألفاظه وأغراضه وطريقته ، وعلى كل حال فان شهرة الشاذلي بين معاصريه بالذكاء الحاد والشعر المتنوع والادب الخفيف هي التي جعلت بعضهم ينسب إليه أشعاراً ليست له لاسباب سياسية أو شخصية ، غير أننا نلاحظ أن شعره عامة شعر مناسبات ، كما نلاحظ إن الروح التقريرية والفقهية تغلب عليه ، ولا عجب في ذلك ، فالرجل كان قاضياً وكان متمكنا في الفقه وأصول الدين بالمهنة ، ولم يكن فارساً سياسياً كالامير عبد القادر ، وعلى كل حال فان الشاذلي يعتبر ظاهرة أدبية ما تزال ممثلة بيننا ، ونعني هؤلاء الشعراء الذين يجمعون بين الشعر والاصلاح الاجتماعي ، أو بين الدين والعلم .

قصيدته السياسية في الأمير

1) أياذا هبا نحو الخليفة بلغن
سلاماً يفوق الند عرفاً يجددٌ

2) ووجهك عفرٌ في تراب نعاله
وبث له وجدى فانك تحمد

3) وبلغ له شكوى قسنطينة بما
يسوء ذوي الاحلام والله يشهد

4) وذلك أن الكفر حل بها وفي
عمالتها من كل ارجائها يبدو

5) وجل الورى راضي بدولته وما
درى أن رب العرش للكفر مبعد

6) ترى أهل دين الله حقاً أذلة
وذو الـكفر في عز وللحق يجحد

7) وكيف وسيف الله بالغرب مصلت
لضرب رقاب الكفر والدين ينجد

8) خليفة احي الدين من بعد موته
واخمد نار الـكفر ذاك المؤيد

9) حمى ملة الاسلام مما يشوبها
بماضي من العـــزم القويم يهند

10) ورأى سديد ثم عــلم وعفة
وجود من استجداه لاشك يرفد

11) وجيش كامثال الجبال وفتية
لدى الطعن للـكفار والضرب تحمد

12) تراه إذا ما الحرب شدت أزارها
حكى ليث غاب عنــه لايتردد

13) محاسنه شتى ولـكن جمعها
عليّ عسير فهو للحسن مفـــرد

14) لقد ملأت منه المناقب أرضنا
هدى مثل بدر التم للخلق يرشد

15) له رتب فوق السها وفضائل
تضوعت الاكوان إذ ما تعـــدد

16) هــلم لنايا ابن الرسول فاننا
بذلٍ وخسران ونصرك نقصد

17) وبادر لقمع الـكفريا ابن نبينا
عسي نفحة من عند جدك تنجد

والواقع أنه ليس لدينا دليل قاطع على نسبة هذه القصيدة إلى الشاذلي ، والادلة المتوفرة لدينا أربعة .

(1) العثور على نصها ضمن مخطوطة لـكتاب « تحفة الزائر » وهو كتاب عن الامير ، وقد ورد فيه إسم الشاذلي ، فلعل المؤلف الامير محمد باشا ، قد وجد القصيدة المذكورة ضمن أوراق والده أو

ضمن محفوظات أفراد العائلة وأراد نشرها في الطبعة الاولى من كتابه ولـكنها لاسباب نجهلها لم تطبع وظلت داخل المخطوطة في ورقة منفصلة .

(2) إشارة الشاذلي عند لقائه الامير بأنه كان يطمح إلى رؤيته على سدة الملك وليس في تلك الحال التي كان عليها ، وقد أوردنا هذا المعنى في بيتين سابقين عند الحديث عن العلاقة بين الرجلين .

(3) أسلوب الشاذلي الشعري الذي نجـده في بعض أشعاره الاخرى ، ولاسيا القصيدة التي مدح بها الدوق دومال عند زيارة هذا لقسنطينة ، وهي أيضاً من بحر الطويل وداليه[1] .

(4) أن مؤلف « تحفة الزائر » شديد الحرص على أن ينسب الوثائق في كتابه إلى أصحابها وهو الذي قدم للقصيدة بقوله « ومما كتبه العالم الفاضل الشيخ محمد الشاذلي على لسان بلدتهم قسنطينة » ثم ذكر القصيدة ، وهو قد عرف الشاذلي شخصياً عندما جاء لمؤانسة والده في إمبواز[2] .

---

(1) أنظر هذه القصيدة في العنتري ، تاريخ قسنطينة ، ص 185 – 186 ، وكذلك في أحمد الأنبيري ، « علاج السفينة » ورقة 251 – 252 ، وفي « هدية الاخوان » للعنتري أيضاً .

(2) مورنان ص 313 .

ولكن متى كتب الشاذلي هذه القصيدة ؟ من الواضح أنه كتبها إلى الخليفة عبد القادر عندما كان « سيف الله » في أوج سلطانه وقوته يحمي ملة الإسلام ويخمد نار الكفر بجيش عتيد وجنود أبطال ، وعندما كانت مناقبه تملأ أسماع الدنيا ويتمتع بسمعة عالية تناطح النجوم ، وكانت قسنطينة تشتكي وتستغيث بابن الرسول الكريم ، حين دهاها الكفر فاذل أهل الصلاح والخير ونكس أعلام الحق والهدى ، وهـذا الوصف لا يصدق إلا على سنوات 1837 _ 1839 ، ففي 1837 وقّع الأمير مع الفرنسيين معاهدة التافنة ، وفي نفس السنة سقطت قسنطينة في أيدي الفرنسيين بعد حرب شديدة ومقاومة غدت مضرب الأمثال ، وقد إتجه الأمير بعد المعاهدة إلى بناء دولته وتنظيم جيشه والـكتابة إلى الأقاليم (ومنها قسنطينة) للدخول في طاعته ، فإزدادت سمعته وكثر مؤيدوه وأصبح هدفاً للمستغيثين ساعة الضيم ، إلى أن وقعت النفرة بينه وبين الفرنسيين أواخر سنه 1839 واستئنفت الحرب ، ومن جهة أخرى وقعت قسنطينة فريسة في يد المستعمرين فلم يسع جل أهلها سوى الدخول في طاعتهم ، ولكن بعضهم ، ومنهم أولئك المستنيرون الذين رأوا الخطر يحدق بالبلاد ، كانوا يبحثون عن منقذ فلم يجدوا سوى الأمير الذي كانت شهرته وقوته تطبقان الآفاق ، وكان الشاذلي في نظرنا من هؤلاء العلماء المستنيرين الباحثين عن منقذ ليخلص

قسنطينة مما حل بها من المعتدين الغرباء ، وبذلك يكون زمن نظم القصيدة سنة 1838م أو أوائل سنة 1839م ، وهو تاريخ كان الشاذلي خلاله مايزال حراً لم يتقلد أي منصب حكومي .

إذن فزمن القصيدة هو بداية إحتلال فرنسا لقسنطينة ، وقد جعلت معاهدة التافنة حكم الأمير يمتد إلى ماوراء جبال البابور كما جعلت نفوذه يمتد إلى إقليم قسنطينة حتى مناطق الزاب والصحراء الشرقية ، وكان دافع الشاذلي إلى نظم هذه القصيدة ماشاهده من إذلال المسلمين في بلاده وتنكيل الفرنسيين بهم واغتصاب أرضهم وفرض ضريبة الحرب عليهم ، وغرضه منها تخليص بلاده وقومه من ربقة الفرنسيين على يد خليفة مسلم من أهل وطنه كان يحارب منذ حوالي عشر سنوات هؤلاء الفرنسيين الذين غزوا أرض أجداده ، وكان قد نجح في إجلائهم بطريق القوة مرة والدبلوماسية أخرى ، حتى أصبح سلطاناً على وطن مستقل وعلى شعب حر ، هذه هي في نظرنا دوافع وأغراض القصيدة ، بقى أن نتحدث الآن عن محتواها وفنيتها وقيمتها .

يوجه الشاذلي الخطاب إلى مجهول ويعني به كل الرسل والركبان الذين كانوا يجيئون ويروحون بين قسنطينة ومعسكر ، ويطلب منهم أن يحيوا عنه أمير المؤمنين عبدالقادر بن محي الدين تحية ملؤها الأكبار

والإجلال يتضوع شذاها ويتجدد ولاؤها ، وأن يمرغوا وجوههم في التراب الذي يمشي عليه ، أليس هو من نسل فاطمة الزهراء ، شريفاً وابن شريف ؟ ولكن أهم من ذلك كله إطلاعه على مايعانيه أهل قسنطينة من ظلم واضطهاد يثير أهل العقول الراجحة ويستفز المشاعر الإسلامية ، فالفرنسيون قد حلوا ببلادهم وعم شرهم كل أرجائها ولم ينج من ظلمهم القاصي ولا الداني ، ومن عجب أنه بعد تلك المقاومة العنيدة والصلابة في الدفاع عن الحق والارض والشرف ، أصبح معظم أصحاب المصالح بقسنطينة راضين بحكم الفرنسيين لايبدون تذمراً أو ثورة كانهم لايعلمون ان الله كفيل بطردهم وأنه قد حكم عليهم بالزوال .

ولكن رويدهم ، كيف يستمرون في غوايتهم وتبجحهم بينما الامير عبد القادر في الغرب الجزائري مصلتاً سيفه للدفاع عن كلمة الله وجهاد الكفار ونجدة المسلمين حيثما كانوا ، فهو الخليفة الذي أعاد للاسلام مجده واسترد ثقة المسلمين بعد أن فقدوها حين إحتل الفرنسيون أرضهم ، وقد نجح في كبح جماح الاعداء فرجعوا على أعقابهم خاسئين ووقعوا معه معاهدة وصلحاً لانهم لم يستطيعوا القضاء عليه أو الظفر به ، لانه منصور بالله ومؤيد من الشعب ، وبذلك أصبح الحامي للدين الإسلامي والمسلمين في الجزائر بما يتمتع به من

إرادة جبارة مسددة لاتعرف الكلل ، وبما له من مزايا وفضائل قلما تتوفر في غيره ، فله الرأي الحكيم والعلم الغزير والورع الكامل والكرم الذي لايقصر عن كل مستزيد ، وإلى جانب ذلك فهو شجاع مقدام يخوض الحرب بدون تردد أو وجل ، فهو الاسد الجسور القوي ، وقد أصبحت مناقبه تغطي إقليم قسنطينة وتهدي من يهتدي بها كما يهدي القمر السارين في ظلمات الليل ، ولكن إحصاء فضائله ومراتبه ومزاياه أمر مستحيل لانه أرفع من أن يحيط به عد ، فهو أعلى من أبعد النجوم ، ويعزز الامير في نضاله ومواقفه جيش عظيم في قوة الجبال ، قوامه جنود شجعان إشتهروا بصمودهم في قتال الفرنسيين وضربهم لهم ضرباً تسير بذكره الركبان .

وقد قصد أهالي قسنطينة هذا الامير الذي لايخلف وعداً ولايرد سائلا ، فهم بدونه في ذل ومهانة ، وهو ابن الرسول الكريم والنبي العربي العظيم ، وكان لسان حالهم : النجدة النجدة ! والبدار البدار! فالفرنسيون إحتلوا البلاد ولن يجلوا عنها إلا بغارة قوية من الامير وتاييد عظيم من الشعب ونصر مبين من الله ، ولعل الحظيواتي فيكون الخلاص على يد هذا الامير الذي تباركه رايات الرسول التي طالما رفرفت بالنصر لانها مؤيدة بجيش من الملائكة والارواح الخفية .

هذه خلاصة القصيدة ، ويمكننا أن نقسمها جملة إلى أربعة أجزاء :

(1) من البيت الأول إلى الثاني تحية الأمير والشوق إليه وابداء الإحترام والخضوع نحوه .

(2) من البيت الثالث إلى السادس وصف الحالة التي كانت عليها قسنطينة وحالة أهلها بعد أن تغلب الفرنسيين على البلاد .

(3) من البيت السابع إلى البيت الخامس عشر مدح الأمير ووصفه باوصاف التمجيد والشرف والأخلاق والعلم والورع والشجاعة ، ومدح جيشه بالقوة والأقدام والغيرة على الدين .

(4) من البيت السادس عشر إلى البيت السابع عشر الاستصراخ بالأمير وطلب نجدته لإنقاذ قسنطينة وأهلها من أيدي الفرنسيين .

وعند التامل في هذا التقسيم نجد أن أجزاء القصيدة متماسكة يقود بعضها إلى بعض ، وأن أفكارها متسلسلة ومنطقية في ترتيبها ، فمن تحية الأمير إلى وصف حالة قسنطينه إلى مدح الأمير إلى الإستنجاد به ، فالشاعر من هذه الزاوية كان موفقاً غاية التوفيق ، حقاً أنه أطال في مدح الأمير بينما اختصر وصف الحالة في قسنطينة ، ولو عكس لكان أوقع على نفس الأمير الذي ستثيره معاناة المسلمين هناك وتهزه إلى نجدتهم ، ولكن الشاذلي قد أضعف هذا الجزء (عن قسنطينة) بقوله

أن « جل الورى راضي » بالسلطة الفرنسية ، لأن الأمير إذا عرف أن ذلك هو وضع أهالي قسنطينة فإنه قد لايتشجع لنجدتهم لأنه يخشى في هذه الحالة أن لايجد من يعاونه على طرد الفرنسيين إلا نفر قليل ، ولكن الشاذلي في الواقع كان يريد أن يجعل القضية قضية جهاد ، وليس المهم أن يكون الناس راضين أو ناقمين على الفرنسيين فواجب الأمير ، حامي الإسلام وخليفة المسلمين وابن رسول الله أن ينصر المسلمين أينما كانوا وأن يقلع جذور الكفر حيثما إنغرست ، وفي الجزء الأخير كان الشاذلي موفقا أيضاً ، فنداء النجدة كان مختصراً مقتصراً فيه على بيتين مستعملا فيهما كلمات مناسبة ذات وقع صريح وفعّال ، مثل « هلم لنا ابن الرسول » و « بادر لقمع الكفريا ابن نبينا » .

والواقع أن عبارات الشاعر والفاظه الفنية تحتاج أيضاً إلى بعض الوقوف ، وأول مايلاحظه المرء أن الشاذلي في هذه القصيدة كان أكثر توفيقا منه في قطعه الأخرى التي عرفناها أو نسبت إليه ، فالفاظه هنا مختارة سهلة وعبارته بسيطة مباشرة ، ويشعر الناقد المدقق أن قوافي الشاذلي أضعف من روحه الشعرية المنبثة في القصيدة ، فالقافية متكلفة في معظم الابيات واستعمال الفعل المضارع في القافيه كان في عدد من المرات في غير مكانه وإنماجيء به للضرورة وبالإضافة إلى ذلك

هناك بعض الخلل العروضي الذي حاولنا إصلاحه بمساعدة بعض العلماء[1] ولكن لايجب أن نحاكم الشاذلي على هذا الخطإ فقد يكون من النسّاخ ، ومن الملاحظ أن قصيدته في الدوق دومال فيها خلل عروضي أيضاً ، ومدح الشاذلي تقليدي ، غير أنه كان صادقاً في وصف الامير بالفضائل التي نسبها إليه لأن كل الدارسين لحياة الامير متفقون على تلك الاوصاف ، فهو شجاع ورع عالم ، شريف ، كريم فالشاذلي إذن لم يبالغ فيما ذهب إليه ، وقد افتتحت القصيدة بتحية الامير وختمت بالإستغاثة به ، وهو إفتتاح جيد وخاتمة موفقة ، فالقصيدة من هذه الناحية عبارة عن رسالة منظومة .

وللقصيدة قيمة أدبية وتاريخية ، فهي من الناحية الادبية تضيف إلى معلوماتنا عن الشاعر الشاذلي وعن مساهمته في الشعر السياسي المعاصر للاحتلال ، كما تكشف لنا عن جوانب فن هذا الشاعر الفقيه الذي ما يزال شعره غير مجموع ولا مطبوع ، وبالتالي غير مدروس ، ومن جهة أخرى تساعدنا على فهم مستوى الشعر الجزائرى خلال القرن الماضي ، أما من الناحية التاريخية فأول ما يلفت النظر السمعة

---

(1) قرأت هذه القصيدة على الشيخ الفاضل نعيم النعيمي في منزله بقسنطينة يوم 12 افريل ، 1971 . ومع ذلك فقد ظل البيت الرابع عشر غير مستقيم ، ويرجع ذلك الى معنى كلمة (هدايا أو هدى الخ) ، وقد وجب الشكر علي الشيخ النعيمي شفاه الله .

التي كان يتمتع بها الامير في الشرق الجزائري ، واستنجاد مسلمي قسنطينة به لمساعدتهم على تحرير أنفسهم من العدو ، وبالإضافة إلى ذلك فهي تكشف عن قدم العلاقة بين الشاذلي والامير ، وتوضح أن صلتهما لم تبدأ سنة 1849 حين التقيا في أمبواز بل أنها تعود إلى حوالي عشر سنوات قبل ذلك ، ولايخفى أن القصيدة تغير من نظرتنا إلى الشاذلي نفسه ودوره الادبى والسياسى ، فلم يعد ذلك الضالع في ركاب الفرنسيين طول حياته ، ولكنه أصبح في نظرنا من أولئك الذين كان لهم موقفان : موقف معاد للفرنسيين وموقف موال لهم في الظاهر على الاقل ، وقد عرفنا من رسائله أنه حتى في هذا الموقف كان متململاً غير مطمئن وأن صداقة بواسوني هي التي كانت تقيده .

الخاتمـــة

نستطيع أن نخلص من هذه الدراسة بعدة نتائج ، فقد رأينا الشاذلي عبارة عن نموذج لعصره المضطرب ، فهو قد عاش أحداثا جساما مرت على وطنه فهزته هزاً وغيرت كثيراً من معالمه القديمة ، فمن حكم عثماني إلى حكم فرنسي ومن ثقافة إسلامية عتيقة إلى ثقافة أروبية حية متحدية وقد شهد المجتمع القسنطيني خلال ذلك تطورات في المفاهيم وتغييرات في حظوظ الزعامة ونظام العائلات ، والوظائف والتعليم ن الشاذلي يشاهد كل ذلك ويتأثر به ، فتثقف ثقافة عتيقة ، دينية وأدبية ، على شيوخ فضلاء ، وطمحت نفسه إلى المساهمة في حياة بلاده فالتفت يمنة ويسرة فلم يجد سوى الفراغ في الناحية الشرقية فقد سقطت قسنطينة وأصبح موطن أجداده (الزيبان) مسرحاً لصراع قاتل بين الحاج أحمد وفرحات بن سعيد ، فالتفت نحو الغرب يستنجد الأمير عبد القادر لانقاذ قسنطينة من براثن العدو ، ولكن

الأمير كان عندئذ في شغل عن ذلك لأن إتفاقه مع الفرنسيين قد فشل وأعلنت الحرب من جديد في غرب البلاد ، وبذلك أصبح بينه وبين قسنطينة شوك القتاد .

وأعاد الشاذلي النظر في الحياة الاجتماعية والسياسية في قسنطينة فوجدها تستقر شيئاً فشيئاً أمام صخرة الأمر الواقع ، وكان لداته ومعاصروه من الأسر التي كانت منبوذة في العهد العثماني يجدون تدريجياً طريقهم إلى الوظائف الرسمية ، والمشاركة في الحياة الجديدة ، فلم يجد الشاذلي بداً ، مادياً على الأقل ، من الاندماج في هذه الحياة ، وبدأ يسعي للحصول على وظيفة يعيش منها مع عياله ، حتى نالها على يد ضابط فرنسي (بواسوني) داهية كان متولياً عندئذ شؤون العرب وكان يعمل جهده لكسب النخبة العربية التقليدية لفرنسا ، وتوطدت العلاقة بين الرجلين (الشاذلي وبواسوني) إلى أن أصبحت صداقة متينة ، فكان لبواسوني أثر كبير على الشاذلي لا يشبهه إلا ذلك الأثر الذي تركته شخصية نابليون على الأمير عبد القادر ، فعن طريقه تولى الشاذلي منصب القضاء ، ونظارة المدرسة الرسمية الوحيدة آنذاك في قسنطينة وسافر إلى أروبا ثلاث مرات سائحاً ومتداوياً ومؤانسا للأمير في امبواز ، وتعرف عن الحياة الفرنسية الداخلية ، وأصبح محط أنظار الرسميين وبعض العائلات والشخصيات الفرنسية ، ولكن

نجم الشاذلي خبا بعد بواسوني كما خبا نجم الأمير بعد نابليون ، ذلك استمر ناظر مدرسة وأستاذاً للنحو وقد داهمه المرض والكبر ، وهذا استمر يؤلف ويتعبد وشعر بأنه لم يعد ممثلا رئيسيا على مسرح الحياة ، الأول كان يأخذ من فرنسا إجرا والثاني كان يأخذ منها معاشاً .

والمقارنة بين الشاذلي والأمير لا تتوقف عند هذه النقطة ، فكلاهما أديب متسامح متفتح على حضارة العصر ، وإذا كان النثر الذي حصلنا عليه للشاذلي قليلا فانه يبرهن على ذوق سليم وموهبة دفينة لا ندري أن كانت قد إنطلقت في مجالات واسعة فانتجت لنا أعمالا لكنها ظلت مطمورة ، كما يبرهن شعره سواء الاخواني أو الغزلي أو السياسي على روح خفيفة وتمكن من ناصية اللغة ، ومع ذلك فالمرء يحس في شعره بضعف القافية وغلبة الطابع التعليمي والروح الدينية ، كذلك كان الشاذلي ، كالأمير ، متسامحا فقد زار وعاشر مختلف قطاعات الشعب الفرنسي سواء كانوا من أهل السياسة أو العلم أو الدين وكان يتراسل مع بعضهم أو يذكرهم في رسائله إلى بواسوني دون المس بمشاعرهم أو التعرض لأشخاصهم أو عقائدهم .

وبالرغم من أنه كان قاضيا فإن الشاذلي لم يكن مترمتاً فقد كان يختلف إلى المسرح ويحضر جلسات الاكاديمية الفرنسية ومداولات البرلمان والحفلات المتنوعة ، ويداوي عند كبار الاطباء بل رغب في

الزواج من فتاة فرنسية مجهولة الحسب والنسب ، فقيرة الحال ، وقد حمله أيضاً حب الاطلاع على زيارة بلجيكا وانكلترا وترك لنا وصفاً وإن كان عارضاً فانه جدير بالانتباه ، ولكن الشاذلي لم يترك لنا تأليفاً يكشف لنا عن حياته الدينية والادبية والاجتماعية ، وكل مالدينا عنه لايعدو بعض الاشعار المتفرقة التى عملت فيها يد النسّاخ . وبعض الرسائل ، ولعلنا نستطيع القول بأن الشاذلي كان مقدمة لجيل آخر من المثقفين الجزائريين المتصلين بالحيـــاة والثقافة الفرنسية أمثال عبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب ، ومحمد ابن أبي شنب ، وجميعهم كانوا أساتذة في المدرسة التي كان الشاذلي ناظراً عليها ، وهم ، كما نعلم ، كانوا بدورهم مقدمة لعبد الحميد بن باديس .

ولكن ما دور الشاذلي السياسي والاجتماعي ، الادبي والتاريخي حتي يستحق منا هذه الدراسة ؟ الواقع أنني طالما سالت نفسي هذا السؤال منذ بدأت اجمع المادة ، ولم استطع أن أجيب باقتناع حتى بعد أن انتهيت من الكتابة ، وقد كنت أقول لنفسي لعـل الرجل لا يستحق مني كل هذا الاهتمام ، أليس في الجزائر من هو أعظم منه قيمة وأوسع شهرة ؟ ولكن الذي كان يحفزني على المضي فيها بدأته هو إيماني بأن قيمة الاشخاص لاتقاس بالشهرة والادوار الكبيرة المعاصرة وكثيراً ما علمنا التاريخ أن مغموري اليوم قد يصبحون نجوم الغد ،

وأن مشهوري اليوم قد يصبحون غداً نسيا منسيا ، والشاذلي كان أشياء كثيرة في عصره ، كان عالما أديباً شاعراً ، وكان قاضيا وناظر مدرسة لعبت دوراً في تاريخ الحياة الثقافية ، وكان رحالة إجتماعياً كثير الصلات والمعارف وكان رفيق الامير عبد القادر في الغربة وفي الادب ، ألا تكفي هذه الأمور لتقنعنا بضرورة دراسته وتسليط الضوء عليه ؟ ذلك ما حاولنا الآن ، غير أننا تفادينا قدر الامكان إصدار الاحكام ضده أوله لاننا متيقنون إنه مايزال في أسرار التاريخ ما قد ينقض أو يعدل أو يؤكد ما توصلنا إليه بصدده .

***

ملاحق الرسائل

ملحق 1 : رسالة من الشاذلي إلى بواسوني 1850 .

1) عن اتصالاته في باريس .

2) عن رغبته في الزواج من الفتاة الفرنسية .

ملحق 2 : رسالة من الشاذلي إلى بواسوني 1854 .

1) عن نظارة مدرسة قسنطينة .

2) وصف الفتاة التي أراد الزواج بها .

ملحق 3 : رسالة من الشاذلي إلى بواسوني 1854 .

1) عن سفره نحو الأمير في المشرق .

2) عن أرض وادي الذهب .

ملحق 4 : رسالة من محمود بن الشاذلي في قسنطينة الى بواسوني 1860 .

1) عن تهنئته بالعام الجديد باسم والده .

2) بيتا شعر من الشاذلي نفسه الى بواسوني .

ملحق (1)

رسالة من الشاذلي إلى بواسوني 1850

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى حبيبنا وصديقنا وخليلنا السيد القبطان بواسني ، السلام ، ولطائف التحيات والاكرام ، وبعد ، فقد بلغني كتابك وأخبرت السيد إسماعيل على أحمد ابن سالم وأمه وأخيه وقال لي ننظر ذلك ولـكنه هو مريض في بيته منــــذ يومان (كذا) وأنا أنتظر إذن المينستر لارجع إليكم ، وأخبرني السيد إسماعيل أن العرب يسافرون في الثالث عشر من هذا الشهر ، وأما مسيو بلونديل لم إجتمع به

تعليق : كتب الشاذلي هذه الرسالة بأسلوب عادي ، وذكر فيها أهم القضايا التي كانت تشغله آنئذ ، وكلمة (برية) تعني رسالة ، ولم أستطع أن أفهم ما يعني الشاذلي (بالروس) هنــا أو بالأحرى رأيه في الروس ، وأعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى معرفة أكثر للدوافع التي دفعته إلى هذا الرأي ، أما مـا في الرسالة من اشارات أخرى فقــد تعرضنا اليه في الدراسة ، وكذلك الاشارات الواردة في الرسائل (اللاحق) الأخرى . (أ . س .)

وكذلك الجنرال بيدو ، وأما بريتك بلغتها إلى الجنرال دماص ولم إجتمع به بعد ذلك وهو يسكن في اطيل دي مينستر روي نفرنسط نومرو 36 ، وأما الروس فانه هو وأخوه عدو لنا ولك مع خيرك معه وهذا من خسة عقله ، فإن العاقل لا ينكر خير الناس .

ونخبرك إني أردت أن اتزوج بيريز مع بنت عمرها سبعة عشر عاماً ، وكتبه محبكم الشاذلي في الســادس من مارس الفرانسوي عام 1850 .

* * *

ملحق (2)

رسالة من الشاذلي إلى بواسوني 1850

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى الحبيب الأديب الاقرب إلينا من كل قريب صفينا وخالص ودنا السيد القبطان بواسني صانه الله ورعاه ومن كل بلاء حماه ، آمين ، السلام ولطائف التحيات والاكرام يعمكم ومن شملته حضرتكم .

وبعد فاني كل يوم إذهب إلى محب الجميع السيد إسماعيل واساله الرجوع إليكم وهو يقول لي: ترجع ولـكن حتى يدفع لك الوزير المصروف في مجيئك إلى الـكومسيون ، والإذن لم يخرج ، ونخبرك أيها الحبيب إن أمر المدرسة جاء من الجزائر والسيد إسماعيل قال لي

(ذيـل) وأنا متحير من جانبكم حيث لم أحضر معكم لسفر العرب والله يجمعنا عن قريب بمنه .

تكلمت مع مسيو بلونديل ليجعلك ناظراً عليها ووعدني بذلك ، ولـكن الراتب قليل وذلك أربعون دورياً في كل شهر ، وأما مدخول دار القاضي أكثر من هذا وتحيرت في ذلك فالمطلوب منكم ان تشيروا علينا برأيكم المبارك .

ونخبركم على البنت التي أردت اتزوجها عمرها سبعة عشر عاماً وهي عاقلة جميلة وليس عندها شيء من الدراهم ولـكن رضيت أن تتزوج معي أمام السيد الحاج عبد القادر وتذهب معي إلى قسنطينة واعجبني هذا الأمر كثيراً ، وإذا قدمت إليكم ناتي بها معي وأمها أو زوج أمها وأتزوجها عنـدكم ، فلابد أن ترد إلي الجواب عاجلاً ولا تتراخي .

وإذا أمكنكم أن ترسلوا لي كواغط الدراهم تجعلها مثل البرية وترسلها إلي .

كتبه محبكم الشاذلي في 12 مارس ، 1850 .

ملحق (3)

رسالة من الشاذلي إلى بواسوني 1854

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حضرة الخليل ، صاحب القدر الجليل ، ثمرة الفؤاد ، وزينة النادي من إشتاقه كل يوم ، ولم تفارقني صورته حتى في النوم ، محب الخير وأهله ، والساعي إلى المكرمات بقوله وفعله ، السيد الكماندة بواسوني كان الله له وبلغه بفضله أمله ، آمين ، السلام عليكم ، وعلى من شملته حضرتـكم ، سلام من المسك أذكى ، ومن كل نام ازكى ، تعمكم نفحاته ، ورحمة الله وبركاته ، وبعد فان سالتم عنا فنحن كما تعلمون ، ومن عدم مكاتبكم متحيرون ، وجال فكرنا في المانع ، والسبب

(ذيل) وكيف بكم لم تخبرونا عما كتبناه لكم من جواب سؤالكم عن أرض الحرائش ، هل بلغكم أم لا ، وهل أعجبكم أم لا ، فاني رددت لكم بابر (؟) سؤالكم عن عجل ، وحيث لم تخبورنا ببلوغه ظننا أنه لم يبلغكم ، والسلام .

القاطع ، فتارة أقول نسيتمونا حتى لم نخطرلكم ببال ، لا كن بقاوكم لنا بخير ، يزيل عنا البوس والضير .

هذا وليكن في علمكم وأن السيد الـكرونيل دنف إرسل لي كتاباً من الجزائر يقول لي فيه إن السيد الحاج عبد القادرطلبكفإن شيت أن تذهب إليه فالخيار لك ، ويفهم من كلامه إني إذا ذهبت الى السيد المذكور ينزع مني وضيف (كذا) المدرسة كما فعل معي أول مرة حين كنت قاضياً ، وتحيّرت من ذلك كثيراً ، ومراد أنا (كذا) الذهاب إلى السيد المذكور ، لاكن على يد الدولة ليكون لى بذلك إحترام في سفرى ويكون المصروف أيضاً عليها ، فالمطلوب منكم أن تشيروا علينا برايكم ، وما يظهر لكم عن عجل.

ونخبركم أيضاً بقضية أخرى وهي أن بعض المركانتية طلب الأرض المسماة بوادي الذهب التي هي بيدي وأراد أن يبني بها برجاً وارحية وياخذها كنسسيون على يد جماعة الكومسيون فتكلمت مع القبطان قريلي في ذلك فقال لى إذا أردت أن نعطيك منها ماية اكتار وتبني برجا قتمته (كذا) خمسماة عشر ألف فرنـكيا وتغرس الأشجار خمسة وعشرون شجرة لـكل اكتار فقلت له هذه خسارة بلا فايدة لقلة الأرض وكثرة المصروف ، فقال لى تطلب لوليدك مايتا اكتار ماية لكل واحد ويلزمك المصروف المتقدم ، فحسبت المصروف على

الثلاثمياة أكتار خمسة وأربعين الفافرنكيا ويلزمني من الاشجار عليها سبعة الآف وخمسماية شجرة فيلزمني في شرائيها وأجرة من يغرسها مصروف كثير ، وهذا شيء لا طاقة لي به ولايقوم به جميع مالي ، وإن نزعوا الارض من يدي بقيت مهملاً وليس لي سبب غيرها أعيش به مع أهلي وأولادي وتحيرت من ذلك كثيراً ، ولم أجد من يدىر على غيركم ، فالمراد منكم أن تشيروا علي في هذا الامر المهم بما يظهر لـكم ، وأن أمكنكم عوننا فأعينونا كما هي عادتكم معنا ، فإن مرادي أن تنعم الدولة علي بهذه الارض وإبني بها برجاً واحداً حسناً واغرس فيها بستاناً حسناً وأصنع بها رحاة كبيرة وأعيش فيها مع أهلي ، وسلموا منا كثيراً على الحرة زوجتكم وعلى أخينا الفريد وزوجته وعلى أمكم وأختكم ، ولابد من رد الجواب عاجلاً إن شاء الله .

في فبري (كذا) 10 عام 1854

ملحق (4)

رسالة محمود بن محمد الشاذلي (على لسان والده)

إلى بواسوني 1860 « وفيها بيتان للشاذلي نفسه »

الحمد لله وعلى خلاصة فضلاء المحبين حقاً يقيناً ، النائل من أعلى درجات الفخر قراراً مكيناً ، الوفي العهد ، المخلص الود ، الباذل (غير مقروء) مهجته ، في تحصيل الخير والمفاخر لمحبيه ورفقته ، الذائد عنهم بسيف عقله ، وجنود حزمه ، المتعرض لهم في ميدان المحاسدة ، كي يرا الورا ، (كذا) ذالك (كذا) مشاهدة ، ويتحقق من ذالك (كذا) الحسود العدو ، أن لا انتعاش له بعده ولو (غير مقروء) راياته أعلى مكان بالجو ، المحب الافخم ، والصديق المبجل ، الأعظم ،

(ذيل) الحمد لله أتاكم هذا العـام بالعز والهنا وفيـل مناكم وارتقاء المناصب
وبالأهل والأولاد قرت عيونكم وتصرف عن كل وجوه المصائب
الشاذلي (التوقيع بالحروف اللاتينية)

السيد الكرونيل أبي سنة (بواسوني) ، كان له وليا ونصيراً ذو الفضل والمنة ، ووقاه من كل بلاء وفتنه ، السلام التام ، ولطائف التحية والاكرام ».

أما بعد فإني اهنيكم وبنيكم ، وحليلتكم وذويكم ، بهذا العام ، الذي هو بكل خير وسرور إن شاء الله عام ، سايلا عن جملة أحوالكم ضمنكم وإقامتكم ، حامداً لربي على ما يبلغني من صحتكم وسلامتكم جعلكم الله على ممر الدهور باقين ، وفي أعلى درجات العز راضين . هذا وأن نفوسنا إليكم تايقة ، وللدنو من جنابكم الرفيع ، وحصنكم المنيع ، مشوشة وشائقة ، تتمنى الإجتاع بكم والمزار ، طالبة من ربها أن يقرب الديار من الديار ، حقق الله رجاها ، ويسر بمنه مناها ، آمين

وكتبه فقير ربه محمود ، مسلماً عليكم عن إذن والده العلامة سيدي محمد الشاذلي ، إطال الله بقاءه ، أمين .

في سابع جانفي ، **1860** .

ملاحق القصائد

1 – **قصيدته في الدوق دومال 1844 .**

2 – **قصيدته في باريس حوالي 1844 .**

3 – **قصيدته الثانية في الدوق دومال 1846 .**

4 – **قصيدته في بيجو ودوماس 1846 .**

5 – **قصيدته في الوزير سالفندي 1846 .**

6 – **قصيدته في قسنطينة 1846 .**

في الدوق دومال

دعت لـكم كل الرعية بالمنى
لسيركم فيها بسير أولى الخير

وبالعدل والإحسان مع ردع ظالم
يريد به أخـذ الحقوق بلا فكر

كانكم شمس أضاءت بارضنا
بعيـد ظلام ثم غابت على إثر

دها الناس خطب عند غيبة شمسهم
وكل يود أن تضيء على الفور

+ قالها في الدوق دومال عند ما كان مغادراً قسنطينة 1844 ، بعد أن كان حاكماً عليها ، وفيها أيضاً إشارة إلى العام الجديد ، والمراد (بالدرب) الحي الذي كان يعمل فيه الشاذلي ، ويشير في البيت الأخير إلى أنه كان قاضياً .

وكيف وفيها للخلائق رحمــة

أيا ربنــا رد الأمور لذي قدر

مريد صلاح الناس من بيتذي شرف

وأعطيه عزا لا يزول مع النصر

إليــه مع الأخوان كل فضيلة

كذا الأبوان والجدود من الفخر

لكم جاء هذا العامَ بالنصر والهنا

ويامنى بالظفر ان فزت بالصبر

وقائلها يقضي بكل جميــلة

لممدوحه المعلوم في (الدرب) والبحر

***

في باريس

(بريز) عجيب فيــه نهر يشقه

وسلطانه في الجود والعدل أعجب

وأهله في فهم العــلوم غريبة

وأمرهم في الحرب والصنع أغرب

وأحسانهم للضيف والله غاية

ذكور كذا الأنثي شباب وأشيب

ولما رأوا نهــرا يشق بلادهم

جروا مثله جوداً وهم منه أعذب

\+ يعني بسلطان تونس أحمد باي (1837 - 1850) .
وابراهيم هو ابن محمد علي والي مصر ، وقد زار كلاهما (أحمد باي وابراهيم باشا) باريس ، ولعل الشاذلي قال هذه القصيدة أثناء أو اثر زيارته الأولى لباريس سنة 1844 .

ولما رأت شمس السماء شموسهم
تبرقعت سحبا للحياء تعجب

وتطلع أحيانا لتنظر حسنهم
وتسرق منه ثم بعـــد تغيب

ومن لم يصدق ما ذكرته يسألن
رجالا رأوه ليس عنهم يعزب

وأعظمهم سلطان تونس (أحمد)
حميد خصـــال للمفاخر تجلب

كذلك (ابراهيم) ذو المجد والندى
خليفة مصر من بسيفه يرهب

فانهم قـــد شاهدوا وتعجبوا
وهم لـكمال العقل من غير أعجب

وقائل ذي الأبيات بالشاذلي إشتهر
قسنطينة مثواه والعفو يطلب

في الدوق دومال « 2 »

قدوم جميـــل لا يفارقه السعد
ويصحبه التعظيم والعز والرشد

طلعتم كبدر الافق من بعد غيبة
وأنتم بدور العز انتم لنا القصد

لغيبتكم قـــد فارق الجفن نومه
وصار قذى فيه كجفن به رمد

وكيف وفيـــكم للرعايا منافع
بها تشكرون الدهر ليس لها جحد

صنعتم جميلا وقت تقليد أمرها
بعدلـكم إذ ناله الحـــر والعبد

+ قالها عند ما زار الدوق مدينة قسنطينة خلال جوان 1846 .

ونام مريد الخير في ظل عدلكم
ألا ليت شعري هل يكون لكم عود

فاهلا بكم إذ زرتمونا ومرحبا
فزورتكم فيها لنا الفخر والمجد

ولو طالت نال الناس فيها مناهم
وأبكاهم إذ لم تطل عنكم البعد

خليفتكم ذو العدل يسلى همومهم
ويقفو طريق الخير والرشد من بعد

وأطلب منكم أن رجعتم لأهلكم
وفزتم بجمع الشمل صاحبكم رشد

بلوغ سلامي للجميع ونجلكم
وذكري فيهم بالجميل هو القصد

وقايلها يرجو المودة منكم
وفي مدحكم بالشعر كان هو الفرد

في بوجو ودوماس

لقد ظفرت أرض الجزائر بالمنا
وبالعدل والإحسان مع علو القدر

عل يد من ولاه ربى أمرها
وأعطاه تدبير الحروب مع النصر

ومن أوجب الإحسان للناس كلهم
على نفسه من غير ظلم ولأجور

قوانينه تنبى على حسن عقله
وقد أعجبت من حسنها كل ذي فكر

ومن ينبغي وسم الذي قد وصفته
فوسمه (بيج) صاحب العز والفخر

(دماص) المعين في الأمور بأسرها
ولولاه لم تذعن قبيلة للامر

كريم أديب وافر العقل محسن
لكل الرعايا دائماً ليس ذاكبر

ترى كل إنسان يفوه بمدحه
ويثنى عليه بالجميل من الذكر

ليهنا كما العام الجديد وكلما
يجيء من الأعوام في غابر الدهر

وقائلها ذو الشين الفه ذله
وياء بعد اللام وسمه فلتدر

+ الظاهر أنه قالها في نهاية عام 1846 وفاتح 1847 بدليل البيت ما قبل الأخير ، و (بيج) هو الجنرال بيجو الذي تولى شؤون الجزائر (1840 – 1847) ، و (دماص) هو الضابط دوماس الذي كان متولياً الشؤون العربية في إدارة بيجو . والبيت الأخير نظم دكيك لا سمة (الشاذلي) حيث ذكر حروفه .

في وزير المعارف : سالفندي

دعاني من ذكر الجميل وأهله
سوى أهل (باريس) لهم يجب الذكر

سائني عليهم مابقيت لجمعهم
محامد أوصاف يحق بها الشكر

أنخ بحماهم تكف كل لبانة
ففيه لمن وافاه عزه والظفر

لقد جمعوا عقلا وعلما مع الأدب
وهذه أوصاف الكرام ولانكر

+ قالها سنة 1262 هـ (1846 م) . ونلاحظ دعوته إلى بث العلوم وبناء المدارس وقد ذكر (باريس) التي سبق له ان رآها أثناء رحلته الأولى إليها 1844 .

و منهم وزير العلم ذو العز والشرف
وذو العقل والعلم الغزير له الفخر

أتى أرضنا أذجاءنا الخـــير والهنا
وكل مريد الخـــير يصحبه الخـــير

نؤمل منكم أن تكون مـــدارس
ببلدتنا للعـــلم فارقك الضر

دوام الهنا بث العلوم بأرضنـــا
كسالف دهـــر دام عـــزكم والنصر

يؤمل ذو الأبيات منـــكم مراده
فـكونوا ببال منه إذ لـكم الأمـــر

قسنطينة

قسنطينة الغـــراء فزت ببهجة
وعز على كل البـــلاد ورفعـة

كأنك فوق الكهف سلطان قد علا
سرير عزيز الملـك وهوذ وسطوة

هواؤك ياتاج البـــلاد وعزهـــا
دواء ذوي الأسقام من كل عـــلة

كأنك أمٌ للغريب فـكل من
اتالك منهم نال أكمـــل عـزة

+ قالها أيضاً بمناسبة التهاء سنة 1846 وفاتح 1847 بدليل البيت الأخير ، ونلاحظ اهتمام بالعلوم والدروس حاضراً وماضياً .

وكم عالم قد حـــل فيك وعلمه
علا كل نجم بل غـــلا كل درة

يدرس في كل العـــلوم موضحاً
لـكل عويص من مسايـل حكمـة

وكم صالـح يبكي المـريد بوعظـه
ويشفي من الأسقام في كل لحظة

صئووم قؤوم ذو بـكاء لخـوفه
من الله ذو ذكـر له كل ساعـة .

رماهم صرف الدهر لم يخط سهمه
وماتت بهم كل العـلوم بسرعة

كان لم يكن فيها دروس لدرسها
ولم يجلس للتدريس كل ذي فطنة

وذي سنـة في الخلق حكمـة ربنا
قضى كل شـيء كائن بمشيئـة

حيث بماء سلسبيل وقـد غـدا
بنوك به في ربي من بعد غـلة

وصرت له كوزاً لمن شاء يرتضع
وسوف يعم النفع كل الأزقة

ستحيي بأحياء العلوم ودرسها
وجعل محل للدروس العظيمة

ويحصل كل العز للناس والهنا
وفخرك ياحسنا على كل بلدة

على يد من ولاه أمرك ربنا
وأعطاه تدبيراً لـكل مهمة

يحب صلاح الناس دون فسادهم
ويأمرهم بالخير في كل بقعة

ليهناك العام الجديد وما غبر
وتاتيك بالافراح من كل وجهة

مصادر البحث

(أ) المخطوطات :

1) الانبيري ، أحمد « علاج السفينة في بحر قسنطينة » ، مخطوط خاص .

2) ترجمة مقال شارل سان _ كالبر « قسنطينة وبعض المؤلفين العرب القسنطينيين » (المجلة الافريقية ، 1913) ، ترجمه إلى العربية السيد محمد المهدي ، مع تعليقات مفيدة ، سنة 1966 ، وقد حصلت عليه بواسطة الشيخ الأزهاري بالمعهد الإسلامي (قسنطينة) .

3) تقييدات محمود بن محمد الشاذلي عن المدرسة الكتانية التي كان والده مديراً لها (1850 _ 1877) ، نقلها السيد محمد المهدي عن النسخة الأصلية سنة 1966 ، وقد حصلت عليها بواسطة الشيخ الأزهاري أيضاً .

4) رسالة من الأمير عبد القادر مترجمة إلى الفرنسية موجهة إلى السيد ف ، هاليفي (؟) تاريخها 9 فبراير ، سنة 1853 ، وقد كتبها الأمير من مدينة بروسة ، وهو يطلب فيها إرسال الشاذلي إليه لمؤانسته وهي ضمن مجموعة من الرسائل في المكتبة الوطنية تحمل رقم 2274 .

5) مجموعة من رسائل الشاذلي إلى الضابط بواسوني ، وهي من ثمانية عشر رسالة ، منها ثلاثة كتبها محمود الشاذلي باسم والده ، وتاريخ هذه الرسائل يبدأ من 26 يناير ، سنة 1848 وينتهي في 7 يناير ، سنة 1860 .

6) مجموعة من الرسائل بالفرنسية تتحدث عن الشاذلي وموجهة إلى بواسوني ، وهي تبلغ خمسة عشر رسالة ، وتبدأ بتاريخ 27 افريل سنة 1842 وتنتهي في 6 جويلية ، سنة 1852 .

7) العنتري ، محمد صالح « رسالة القحط » الذي أصاب إقليم قسنطينة في أواخر حكم العثمانيين وأوائل الحكم الفرنسي ، وقد انتهى منها سنة 1877 .

8) قصيدة الشاذلي في الأمير عبد القادر ، وقد وجدتها في ورقة مطوية منفصلة داخل مخطوطة نادرة لكتاب « تحفة الزائر » تأليف الأمير محمد باشا (أنظر المطبوعات) .

ملاحظة : يجد القارىء في التعاليق مصادر أخرى لم نذكرها هنا .

(ب) المطبوعات :

أولا : بالعربية :

1) ابن أبي شنب ، سعد الدين « النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة » « مجلة كلية الآداب ، العدد الأول (1964) ص 33 - 66 .

2) الأمير محمد باشا ، « تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، ط الاسكندرية ، 1903 .

3) الأمير محمد باشا ، « نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر دمشق ، بدون تاريخ (1960) ؟

4) الحاجري ، طه « جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر (محاضرات ألقاها على طلبة الدراسة الأدبية) ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة 1968 .

5) الحفناوي ، أبو القاسم ، « تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر ، 1906 .

6) العنتري ، محمد الصالح ، « تاريخ بايات قسنطينة (يدعي أيضاً الفريدة المؤنسة) قسنطينة ، 1846 .

7) العنتري ، محمد الصالح ، « هدية الأخوان في موافقة التاريخين وتوقيعات الزمان وفوائد متفرقة لها شان » (قسنطينة ، 1846) لسنة 1847.

8) المبارك ، أحمد ، « تاريخ حاضرة قسنطينة » تحقيق نور الدين عبد القادر ، الجزائر 1952 .

9) سعد الله ، أبو القاسم ، كتاب علاج السفينة في بحر قسنطينة » (دراسة) ، مجلة كلية الآداب ، العدد 2 (1970) .

10) سعد الله ، أبو القاسم ، « تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال » ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، 1970 .

ثانيا : بالفرنسية :

1— GOUVION , MARPHE et EDOUARD , Kitab Aàyane El-Marhariba, ALGER, 1920 .

2— MORNAND, F. La Vie Arabe, Paris, 1856 .

3— PERES,H,«La Vie d' Etude et de Méditation d'Abdelkader au Chateau d' Amboise» (1848—1852), Deuxième Congrès National des Sciences Historiques (Alger, 1930) , Alger, 1932, pp. 333-349 .

4— PERES, H, «Les Poésies d'Abdelkader composées en Algérie et en France», Cinquantenaire de la Faculté des Lettres d'Alger (1881-1931), Alger, 1932. pp. 357-412.

5— SAINT-CALBRE CH. « Constantine et Quelques Auteurs Arabes Constantinois ». Revue Africaine, (1913), pp. 70-95.

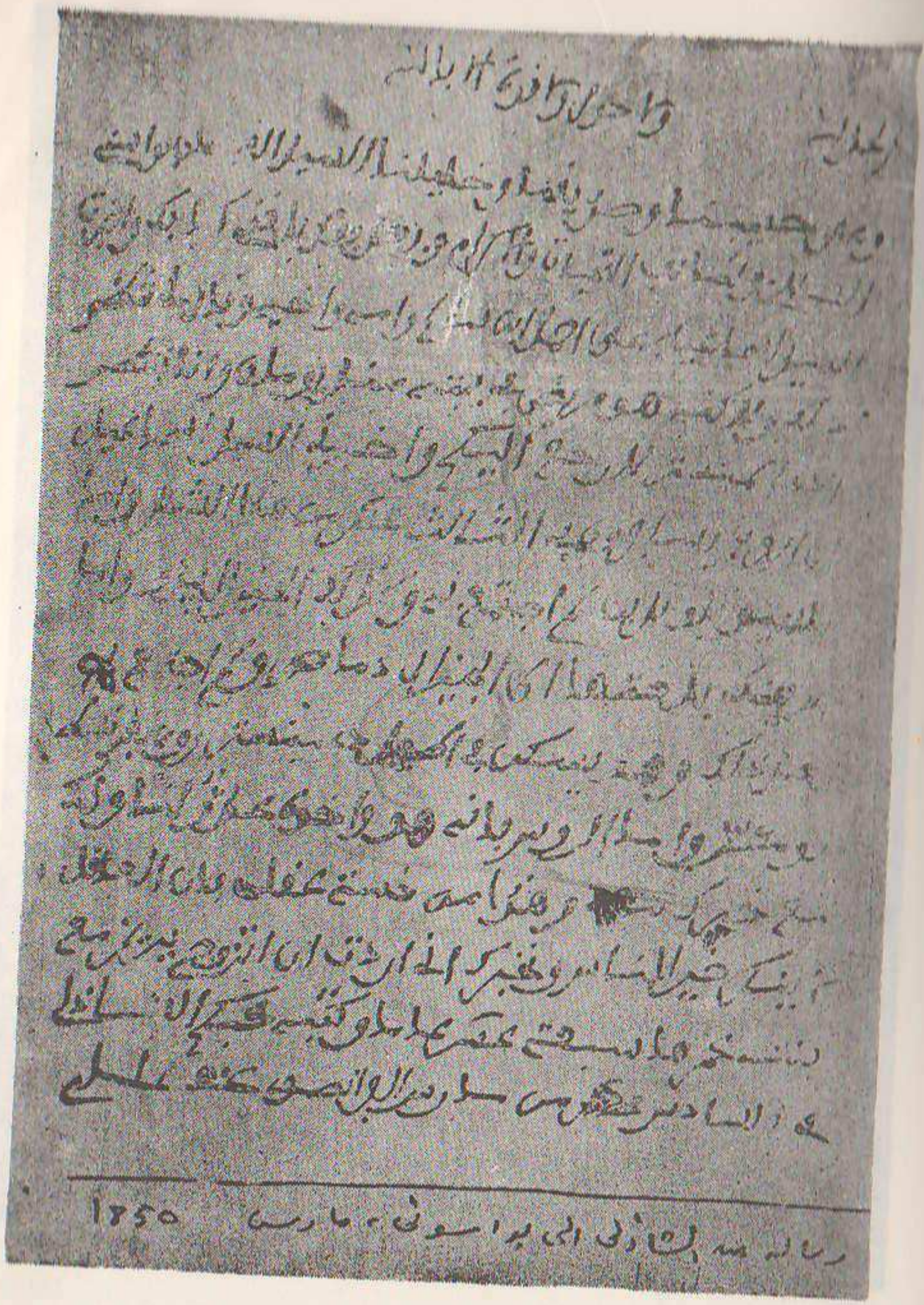
ثالثا : الجرائد :

1) « الأخبار » ، سنوات 1844 - 1850 Akhbar

2) « المبشر »، سنوات 1849-1850- 1877 Mobacher

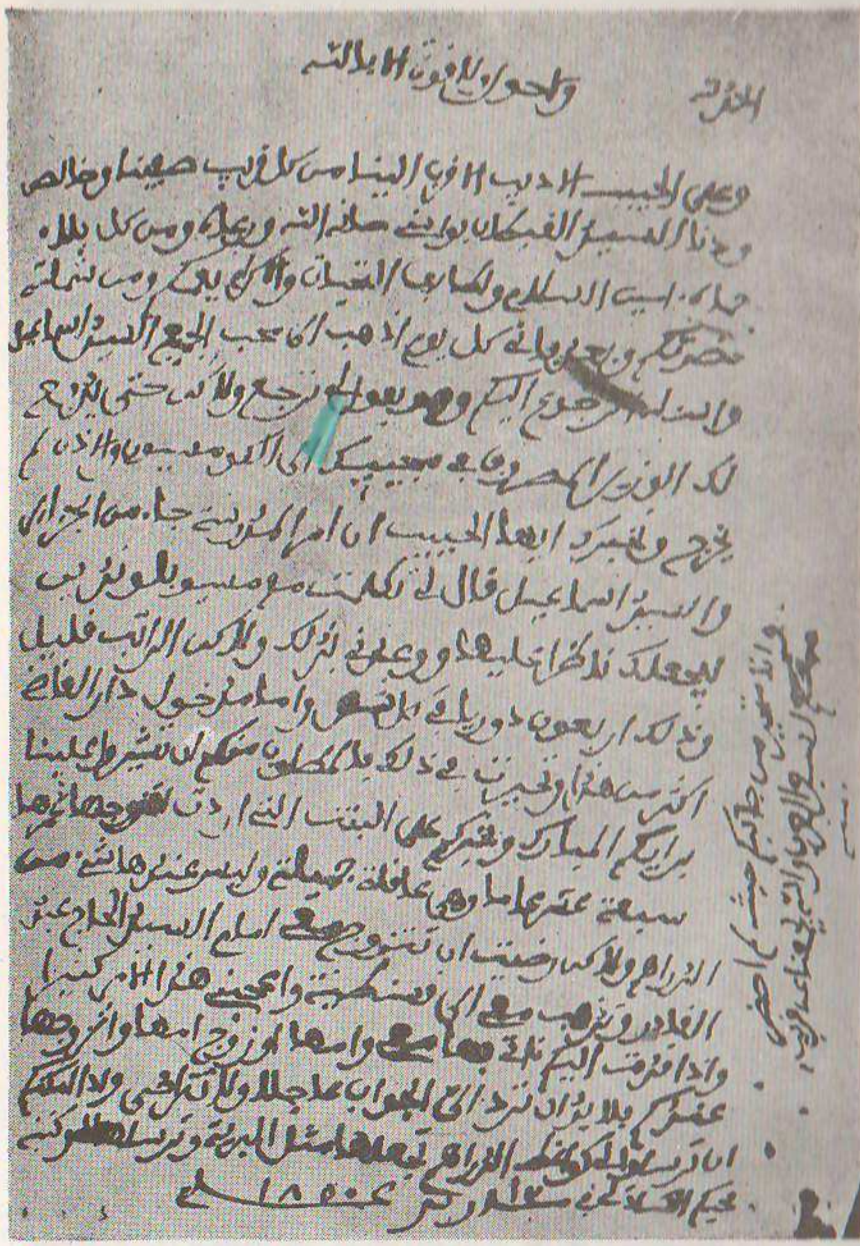
* * *

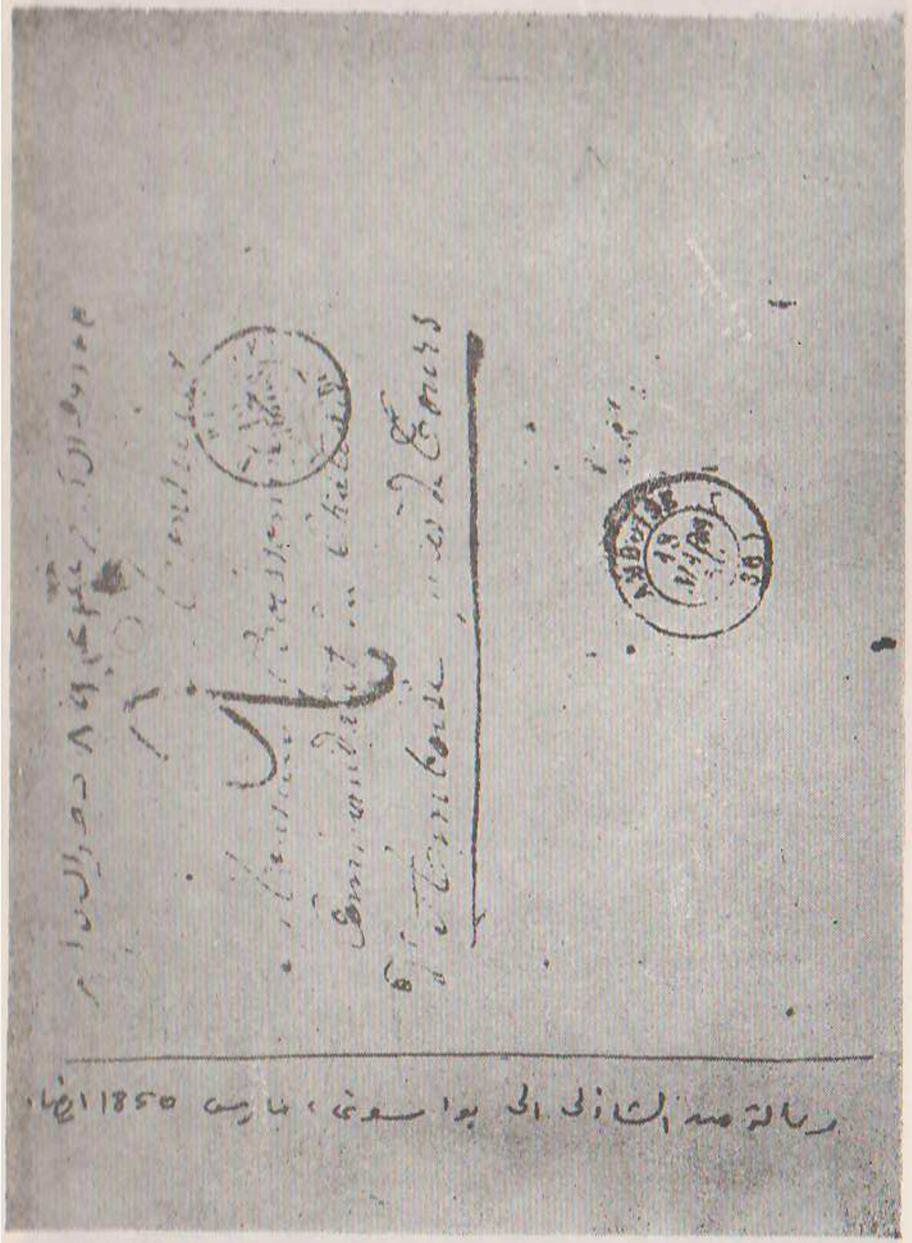
المصورات



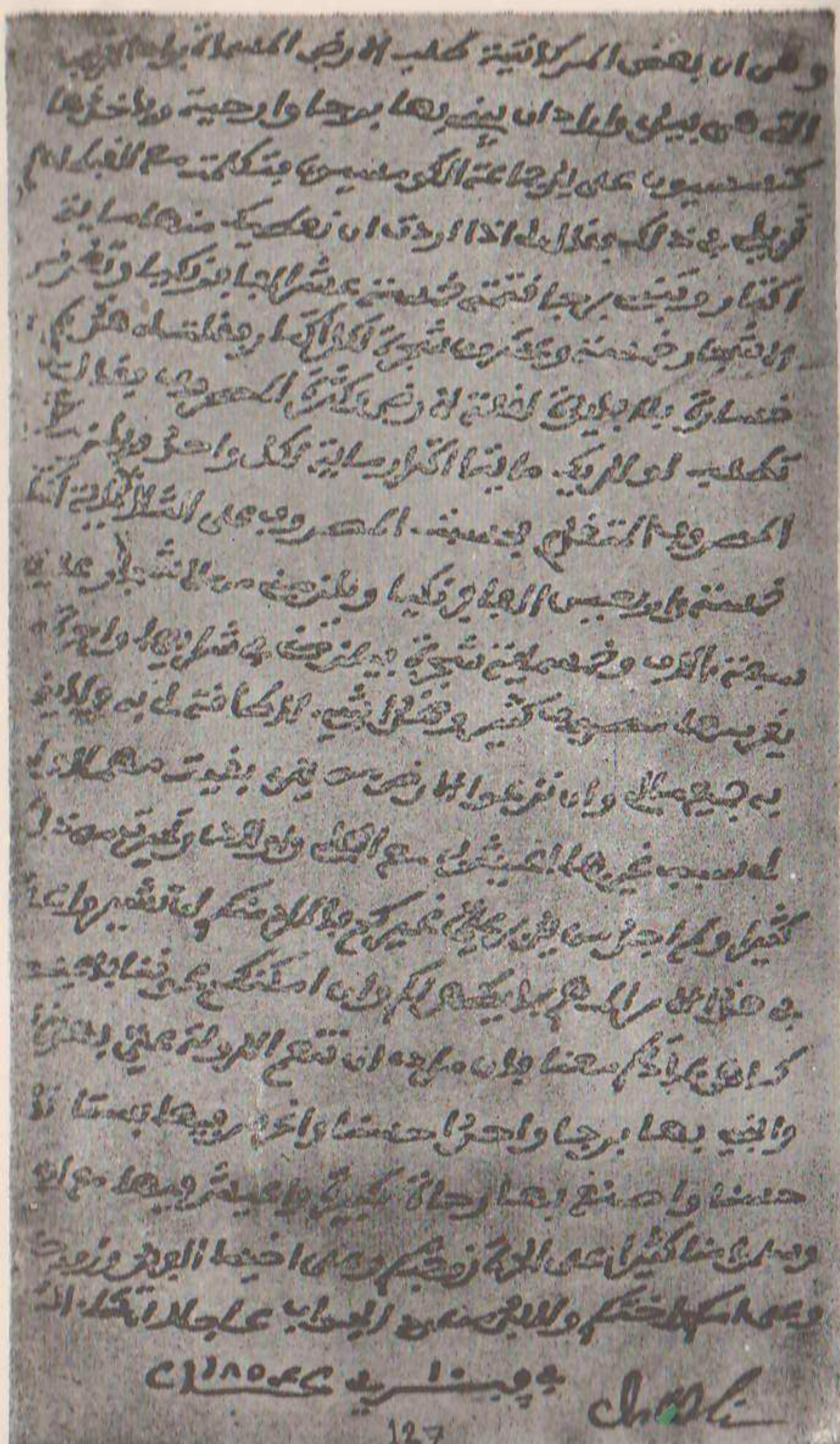
1) « الأخبار » ، سنوات 1844 - 1850 Akhbar

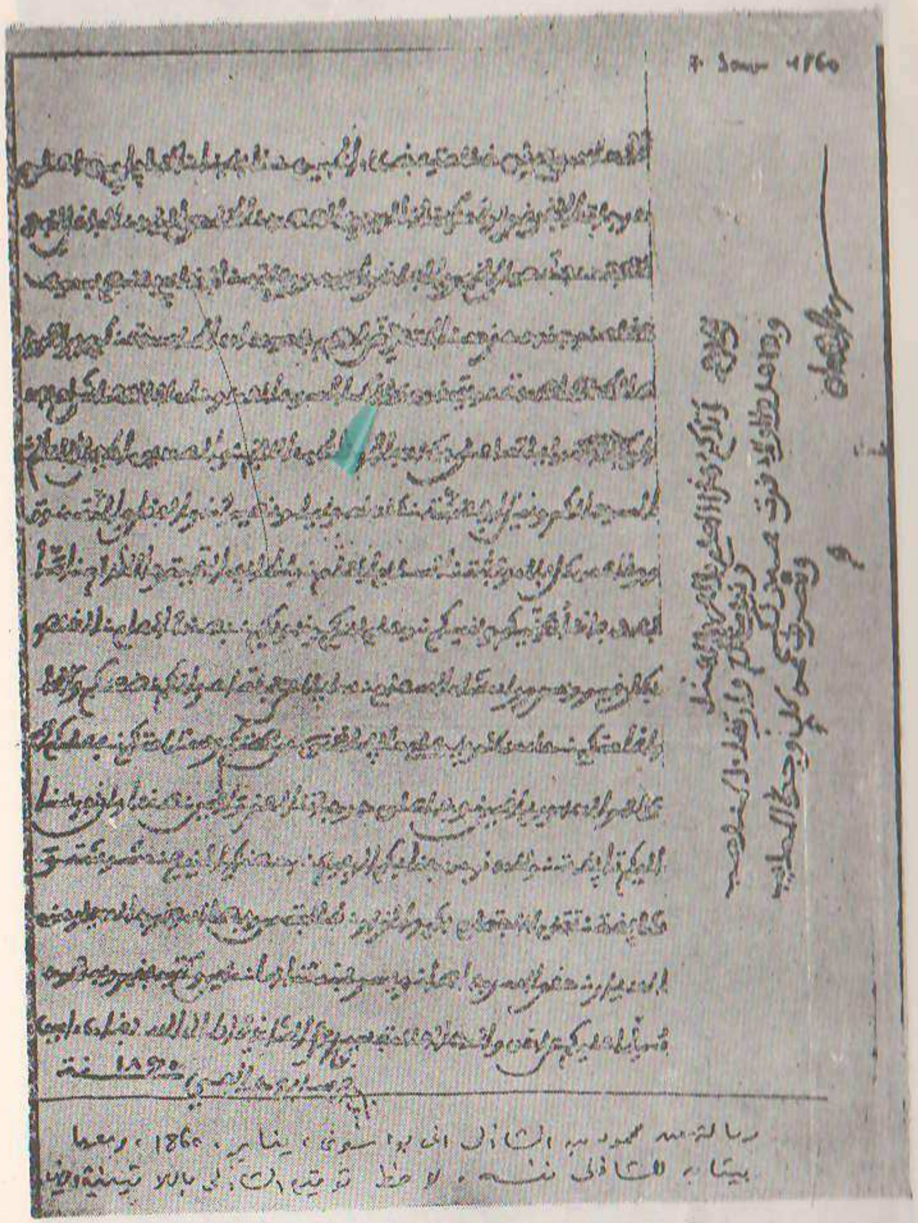
2) « المبشر » ، سنوات 1849 - 1850 - 1877 Mobacher

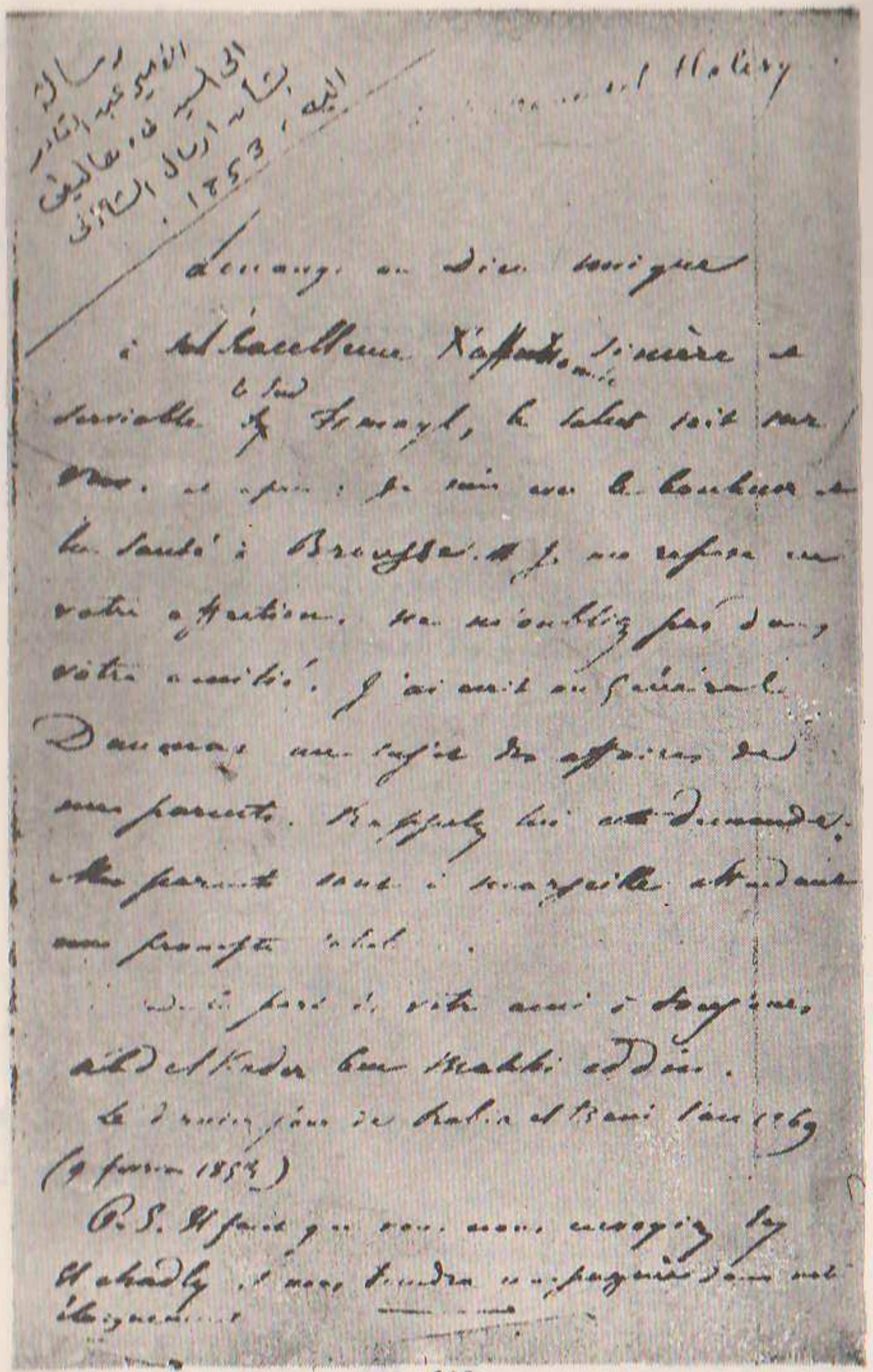












فهرس الاعلام والأماكن

تنبيـــه

لم يشر هـذا الفهرس إلى الاعلام والأماكن الواردة في التعاليق ، كذلك لم تفهرس مادة المشرق ولا الصحراء .

***

فهرس الكتب والجرائد

فهرست الكتاب

للمؤلف أيضا

أ ـ في الآدب

1) النصر للجزائر (شعر) ، دار الفكر القاهرة ، 1957

2) محمد العيد آل خليفة (دراسة) ، دار المعارف ، القاهرة 1961 .

3) دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،دار الآداب ، بيروت، 1966 .

4) ثائر وحب (شعر) ، دار الآداب ، بيروت ، 1967

ب ـ في التاريخ

5) الحركة الوطنية الجزائرية ، دار الاداب بيروت ، 1969

6) تاريخ الجزائر الحديث ـ بداية الاحتلال ، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1970 .

7) حياة الأمير عبد القادر ترجمة لكتاب تشرشل عنه ، (تحت الطبع) .

* * *